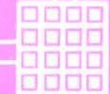
أعلام المسلمين
٧٦



تأليف
أمينة عمر الخراط





دمشق

الطّبعَة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

تُطلب جميع كتبنا من :
دَار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق
دَار البشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

هــٰذه السـيّدة

ـ إنها الصوَّامة القوَّامة ، وإنَّها زوجتك في الجنّـة .

جبريل عليه السلام

ـ هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ .

عائشة رضي الله عنها

ـ ما رأيت صانعاً مثل حفصة ، إنها ابنة أبيها .

عائشة رضي الله عنها

ـ الستر الرفيع بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر ـ رضي الله عنه ـ

الإمام الذهبي

الإهـــدَاء

إلىٰ والديَّ . .

اللذَيْن منحاني من الرعاية والتربية والحنان ما يجعلني أتذكرهما دائماً بالدعاء، وأن يجزيهما الله عني خير الجزاء.

أم بلال

٢٢/٢/١٤١٩هـ



المقـــدّمَة

الحمد لله الفرد الصمد، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والرسل المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

تنبع رسالة المرأة المسلمة اليوم من واقع المسؤولية الكبيرة المنوطة بها، فقد تشابكت أوجه الحياة، وتعقَّدت مسالكها، وأصبح لزاماً عليها أن تعيَ دورها العظيم الذي ألقاه الإسلام علىٰ عاتقها، فهي تخطئ خطأً فادحاً إذا اعتقدت أن رسالتها قاصرة علىٰ واجباتها المحدودة داخل البيت في إعداد المأكل والمشرب والمسكن. إن رسالتها كما قررها الإسلام أكبر من ذلك بكثير، فهي ـ ولا ريب ـ سيدة البيت الأولىٰ، والمسؤولة المباشرة عن تصريف

شؤونه المعيشيَّة. بيد أنها ـ كما يبدو لنا من واقع سيدات الصدر الأول لهذه الأمة ـ معلمّة ومربّية وناصحة وش صاحبة رسالة عظمىٰ ينبغي أن تؤديها حقَّ الأداء. وقد آن لها اليوم أن تسعىٰ لتسهم في تحصين الأجيال المسلمة أمام هذا الغزو الفكري الرهيب الذي يعيشه عالمنا، وأمام ثورة الاتصالات ذات الأوجه المختلفة. وإن واجبها المنوط بها ليتأكد اليوم أكثر من أي يوم مضىٰ.

وأودُّ من خلال هذه السطور أن أختار شخصية جديدة من أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ لألقي الأضواء علىٰ حياتها، ولأضع أمام أخواتي المسلمات اليوم نموذجاً آخر بعد أن عرفنا ـ من خلال سلسلة أعلام المسلمين ـ تفصيلاً عن صحابيات جليلات خَدَمْنَ هذه الدعوة، وأدَّيْن المسؤولية الملقاة علىٰ عاتقهن، وهنَّ: أم سَلَمة، وزينب أم المؤمنين، وأم عمارة، وأم سُلَيْم بنت ملحان ـ رضي الله عنهن ـ.

والحقيقة أن اختيار نماذج من السلف الصالح ليس معناه الهروب من الحديث عن واقع المرأة المعاصرة اليوم، والتفصيل في مشكلاتها، وآفاق واجباتها وجوانب تقصيرها، وإنما هو حديث عن الأُسْوة والقدوة المتمثِّلة في كوكبة من النسوة اللواتي لم يكتفين

بالانتساب لهذه الدعوة، وإنما شَعَرْنَ أنَّ كل آية من كتاب الله وكل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ إنما هو يُخاطبهن كما يُخاطب غيرهن فامتثلن أمر الوحي، ولم يتعلَّقْنَ بالتسويف والتأويل والمماطلة. والمرأة المعاصرة اليوم مدعوة لدراسة سيرة الرسول ﷺ وسيرة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن وصحابته ﷺ من رجال ونساءٍ دراسةَ فَهْمٍ وتطبيق؛ دراسة استيعاب وتنفيذ، وليست دراسة المتعة التاريخية وتلاوة أخبار السالفين التي تكتفي بالحدث ولا تتجاوز قراءته، وإنما تُقْبِل على موضوعات السيرة فتتفاعل معها، وتسعى أن تكون حياتُها اليوم امتداداً لحياة الأمس وتطبيقاً عملياً لها.

وقد جاءت دراستي عن السيدة حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنها ـ في ثمانية فصول على النحو التالي:

ـ الفصل الأول: يتضمن اسمها وولادتها ـ رضي الله عنها.

ـ الفصل الثاني: تحدَّثْتُ فيه عن أسرتها التي تضمَّنت أبويها وإخوتها وخالها عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنهم جميعاً.

ـ الفصل الثالث: تضمّن الحديث عن زواجها الأول قبل زواجها من النبي ﷺ.

ـ الفصـل الرابـع: وفيـه الحديـث عـن زواجها مـن النبي ﷺ وحياتها معه.

ـ الفصل الخامس: تحدَّثتُ فيه عن صفاتها: علمها وفصاحتها ورجاحة عقلها.

ـ الفصل السادس: تضمَّن حوارها مع أبيها عمر ـ رضي الله عنه.

ـ الفصل السابع: تحدَّثتُ فيه عن بعض مشاركتها لأحداث عصرها.

ـ الفصل الثامن: وفاتها ـ رضي الله عنها.

ويسعدني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى زوجي أبي بلال الذي كان لي عوناً على توفير المراجع العلميـة اللازمة، وأشـرف على إعداد البحث وصياغته، فله مني كل شكر وتقدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أم بلال

الفصل الأول

اسمها وولادتها ـ رضي الله عنها ـ

اشتهرت أم المؤمنين حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنها ـ باسمها وهو: حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى ابن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن عدي بن كعب بن لؤي[1]. ويجتمع نسبها مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي.

وأضاف صاحب (الكاشف) إلى اسمها لقب العدويّة[2]. وذلك إشارة إلى أحد أجدادها وهو عدي. جاء في اللسان[3]: «وعَدِي من قريش رهط عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر والنسبة

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٨١؛ كتاب الأربعين (مخطوط)، الورقة ٩/ ب.

(٢) الكاشف: ٢/ ٥٠٥؛ وانظر: تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٥٣.

(٣) انظر: اللسان: عدا....

إليه عدويّ». وبما أن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قرشية فإنه يحسن بنا أن نذكر ما قاله العلماء في اشتقاق قريش، فهي من التقرُّش، وهو التجمُّع، وسُمُّوا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم، أو هو من القَرْش وهو الكسب. وكانت قريش تجاراً. أو هو من التفتيش، وكانت قريش يفتشون على ذوي الفقر ليسدُّوا فقرهم[1].

وذكرت معاجم اللغة أنّ معنى حفصة: الرَّخْمَة. وذكروا أنَّ الرَّخْمَة طائر أبقع على شكل النّسر خِلْقَةً، إلا أنَّه مبقَّع بسواد وبياض. يُقال له الأنوق، والجمع: رَخَم ورُخَم.

وقد تكون حَفْصة مصدر مرَّة كما يقول الصرفيون من: حَفَص الشيء يَحْفِصُه حَفْصاً أي جمعه، فيكون معنى حَفْصة: جَمْعة واحدة.

كما ذكروا أنَّ الحَفْصَ ولد الأسد فقد تكون حفصة هي الأنثى من ولد الأسد.

والحفصة كذلك من أسماء الضَّبُع، وأم حفصة كنية الدجاجة[2].

---

(١) انظر: الدر المصون: ١١/ ١١٤.

(٢) انظر: اللسان: حفص، والقاموس: حفص.

ومما تقدّم نـرى أنّ هذا الاسـم العـربي يحتمـل كـل هـذه الاحتمالات وإن كان الراجح التفسير الأول؛ لأنه المعنى المتبادر الصريح الذي تشير إليه المعاجم اللغوية.

ولم نقف على كنيةٍ لها ـ رضي الله عنها ـ على عادة القوم آنذاك في إطلاق الكُنى على أسماء أولادهم ذكوراً كانوا أو إناثاً.

* * *

ولادتها ـ رضي الله عنها ـ

ولدت حفصة ـ رضي الله عنها ـ في مكة وقريشٌ تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين، وجاء ذلك عن عمر ـ رضي الله عنه ـ[1].

ومكة غنية عن التعريف فهي بلد الله الحرام. قيل: سُمِّيت بذلك لقلّة مائها؛ وذلك أنهم كانوا يمتكُّون الماء فيها، أي: يستخرجونه. وقيل: سُمِّيت مكة لأنها كانت تمُكُّ مَنْ ظلم فيها وألحد، أي: تهلكه[2].

وبناء الكعبة كان لخمسٍ وثلاثين سنة من مولده ﷺ حيث

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٤؛ أعلام النساء: ١/ ٢٧٤؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨١؛ الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٣٣٩؛ تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٥٣.

(٢) انظر: اللسان: مكك.

قامت قريش ببنائها؛ وذلك لأنَّ الكعبة كانت فوق القامة، ارتفاعها تسع أذرع في عهد إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يكن لها سقف، فسرق نفرٌ من اللصوص كنزها الذي كان في جوفها، وكانت مع ذلك قد تعرَّضتْ للعوادي التي قَوَّضَتْ بناءها وصدَّعت جدرانها.

وقبل بعثة الرسول ﷺ بخمس سنين جرف مكة سيلٌ عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخل في بنائها إلا ما كان طيباً، فلا يُدْخلوا فيها مهر بَغِيّ ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد من الناس.

وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لمَّا رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزّؤوا الكعبة وخصّصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حِدَة وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بنَّاء رومي اسمه (باقوم)، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمَنْ يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمرّ النزاع أربع ليالٍ أو خمساً،

واشتدّ حتى كاد يتحوّل إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أنَّ أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يُحكِّموا فيما شجر بينهم أولَ داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك الداخل هو رسول الله ﷺ، فلمّا رأوه هتفوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداءً فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه ﷺ بيده فوضعه في مكانه. وهذا حلٌّ حصيف رضي به القوم[1].

وجاء في (الأعلام)[2]: أن حفصة ـ رضي الله عنها ـ ولدت بمكة سنة (١٨) قبل الهجرة. وهذا يؤيّد قول عمر ـ رضي الله عنه ـ السابق أنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين، لأنّ رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، ثم هاجر إلى المدينة المنوّرة، فيكون مولدها سنة (١٨) قبل الهجرة، وذلك بإضافة خمس سنوات وهي التي عاشتها قبل البعثة، إلى ثلاث عشرة سنة، وهي مدة إقامته ﷺ بمكة.

---

(١) الرحيق المختوم، ص٧٠ ـ ٧١.
(٢) الأعلام: ٢/ ٢٦٤.

ولعلّ حفصة أكبر إخوتها، فقد جاء في (مسانيد أمهات المؤمنين)[1]: أنّ حفصة شقيقة عبد الله وأسنُّ منه. وقال ابن حجر[2]: «كان مولد عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ في السنة الثانية من المبعث لأنه ثبت أنه كان يوم بدرٍ ابن ثلاث عشرة سنة، وكانت بدر بعد البعثة بخمس عشرة سنة». وعلى هذا فإن أول أولاد عمر ـ رضي الله عنه ـ من زوجته الأولى زينب بنت مظعون كانت حفصة ـ رضي الله عنها ـ.

* * *

---

(١) مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٣.

(٢) فتح الباري: ٨/ ٩١.

الفَصلُ الثاني

أسـرتهـا

أبـوها:

هـو الخليفـة الثاني الراشـد عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين، يجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي. فهو عدويّ. كان وقت بعثة النبي ﷺ شديداً على المسلمين. أسلم قبل أن يخرج رسول الله ﷺ من دار الأرقم وهو مُسْتَخْفٍ فيها مع تسعةٍ وثلاثين رجلاً من المسلمين فأتمَّ الله به أربعين رجلاً بدعوة رسول الله ﷺ: «اللهمَّ أيِّد الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم ابن هشام»[1].

سـمَّاه رسـول الله ﷺ الفاروق. عن ابـن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ قـال: سـألت عمـر ـ رضي الله عنه ـ لأي شـيء سُـمِّيت

(١) الجوهرة: ٢/١٢٩.

الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة ـ رضي الله عنه ـ قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام، فقلت: الله لا إلـه إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحبّ إليّ من نسمة رسول الله ﷺ، فقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا. فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب فاجتمع القوم، فقال لهم حمزة ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب. فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نَتَرهُ نَتْرة، فما تمالك أن وقع على ركبتيه، فقال: ما أنت بمُنْتَهٍ يا عمر؟ قال: قلت: أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فكبَّر أهلِ الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. قال: فقلتُ يا رسول الله ألسْنا على الحقّ إن مِتْنا وإن حَيينا؟ قال: بلىٰ والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن مُتّم وإن حييتم. قال: فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فأخرجناه في صفَّيْن، حمزة في أحدهما وأنا في الآخر، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرَتْ إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. فسمّاني رسول الله ﷺ الفاروق[1].

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٢.

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى بعض آياته موافقةً لأقوال عمر ـ رضي الله عنه ـ. عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي عز وجل في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتّخذنا من مقام إبراهيم مصلّى. فنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلت: يا رسول الله إنّ نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥]، فنزلت كذلك[١].

وقد أخبر جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ بفضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: خبِّرني بفضائل عمر عندكم في السماء، فقال: يا محمد لو مَكَثْتُ معك ما مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ما حدَّثْتُكَ بفضيلة واحدة من فضائل عمر وإنَّ عمر لحسنة من حسنات أبي بكر[٢].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

أما ما ورد في دعاء رسول الله ﷺ لعمر ـ رضي الله عنه ـ عن سالم عن أبيه قال: رأى النبي ﷺ على عمر ثوباً، وفي رواية: قميصاً أبيض، فقال: أجديدٌ ثوبك هذا أم غسيل؟ فقال: بل غسيل، فقال: البس جديداً وعش حميداً ومُت شهيداً»[1].

أما ما ذكروا في صلابته ـ رضي الله عنه ـ في دين الله وشدته فمنه ما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ لما أسرَ الأسارى يوم بدر استشار أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلّ سبيلهم. واستشار عمر فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، فلقي النبي ﷺ عمر فقال: «كاد يصيبنا في خلافك شر»[2].

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يهتم برعيته ويلاحظهم، فكان يمشي في الأسواق، ويطوف في الطرقات، ويقضي بين الناس ويخلف الغزاة في أهليهم. عن الأوزاعي: أن عمر خرج في سواد الليل فرآه طلحة ـ رضي الله عنه ـ فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت وإذا بعجوزٍ عمياء

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٢٩.

(٢) مناقب عمر بن الخطاب، ص٤٣.

مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع؟[1].

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وما عبدنا الله جهرةً حتى أسلم عمر. وقال أيضاً: لو وُضِعَ علم أحياء العرب في كفة الميزان ووُضع عِلم عمر في الكفة الأخرى لرجح علم عمر، ولقد كانوا يَرَوْن أنه ذهب بتسعة أعشار العلم، ولَمجلسٌ كنت أجلسه من عمر أوثق في نفسي من عمل سنة[2].

وفي أيام عمر ـ رضي الله عنه ـ تتابعت الفتوحات بالشام والعراق، ومُصِّرَت الأمصار، ودُوّنت الدواوين وأُرِّخ التاريخ من الهجرة.

وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وكان ـ رضي الله عنه ـ مَهيباً مُتَقَشِّفاً في اللباس والطعام متواضعاً مُسَدَّد القول، مُوفقاً للصواب فيما يقضي ويفعل[3].

---

(١) حلية الأولياء: ١/٤٨.
(٢) الجوهرة: ٢/١٢٩.
(٣) انظر: الإصابة: ٢/٥١٨؛ الجوهرة: ٢/١٢٩.

والحديث عنه ـ رضي الله عنه ـ طويل لا يكفيه مجلدات، ويكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق، ورحمة الله عليه ورضوانه فهو تاجٌ على رؤوس المسلمين ومصدرٌ من مصادر فخرهم.

أمـهـــا:

زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح[1].
أخت عثمان وعبد الله وقدامة والسائب بني مظعون الجمحي[2].
زوجة عمر بن الخطاب ووالدة أولاده عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة.

قيل: إنها كانت من المهاجرات، وتعقب هذا القول صاحب الإصابة[3]: «وأخشى أن يكون وهماً ـ أي هجرتها ـ لأنه قد قيل: إنها ماتت بمكة قبل الهجرة، وقال: بل الوهم ممَّنْ قال ذلك، فقد ثبت عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في صحيح البخاري أنه قال في حق ولده عبد الله: هاجر به أبواه».

---

(١) الاستيعاب: ٤/ ٢٦٨؛ تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٣٣٨.
(٢) الجوهرة: ٢/ ٦٤؛ مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٣.
(٣) انظر: الإصابة: ٤/ ٣١٩؛ الاستيعاب: ٤/ ٣٢١.

وأم زينب بنت مظعون طُليحة بنت جُدعان أخت عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تَيمْ بن مُرَّة[1].

ولم تذكر كتب السير والتراجم شيئاً عن سيرتها وحياتها سوى ما أوردناه.

إخـوتهـا:

١ ـ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ:

عبد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المُحدِّث الإمام الصدوق[2].

ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وهاجر وهو ابن عشر سنين، وعُرِض على النبي ﷺ يوم بدر فاستصغره ثم عُرِض عليه بأحدٍ واستصغره كذلك، ثم عُرِض عليه بالخندق فأجازه، وهو يومئذٍ ابن خمس عشرة سنة. وقيل: شهد بدراً.

روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ وعائشة...

---

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٣٥/ ١٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٧/ ٣٣٩.

وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ وروى عنه من الصحابة جابر وابن عباس. . وبنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال وزيد. . ومن كبار التابعين سعيد بن المسيّب وأسلم مولى عمر وعلقمة بن وقاص. . .

قال جابر: ما منّا مَنْ أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبد الله بن عمر. وعن السدي قال: رأيت نفراً من الصحابة كانوا يَرَوْن أنه ليس أحدٌ فيهم على الحالة التي فارق عليها النبي ﷺ إلا ابن عمر[1].

وتذكر كتب التراجم أخباراً كثيرة عن عبادته ـ رضي الله عنه ـ وحرصه على كثرة الصلاة والصوم، وكان يتّسم بالزهد والورع ولم يكن حريصاً على الدنيا، وإنما عُرِف بالتقشّف والثياب الخشنة والزهد في الأثاث والمال والمناصب، كما عُرف بالجود والكرم وإنفاقه الأموال الكثيرة في سبيل الله[2]. وقد اشتهر ـ رضي الله عنه ـ بالفتيا ومكث ستين سنة يفتي الناس[3].

وروي أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي

---

(١) انظر: الإصابة: ٢/ ٣٤٧.
(٢) انظر: عبد الله بن عمر الصحابي المؤتَسي برسول الله ﷺ، ص١٩٤.
(٣) انظر: الأعلام: ٤/ ١٠٨.

ما قُدِّر له ثم يصير إلى الفراش فيُغفي إغفاءة الطير ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي، فيرجع إلى فراشه فيُغفي إغفاءة الطير ثم يَثِبُ فيتوضّأ ثم يصلي . . . يفعل ذلك في الليل أربع مراتٍ أو خمساً.

وعن عقبة بن مسلم أن ابن عمر سُئِل عن شيء فقال: لا أدري، ثم قال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسوراً في جهنم تقولون: أفتانا بهذا ابن عمر.

وقد دأب عبد الله على ألا يصوم في السفر، ولا يكاد يفطر في الحضر.

ومات ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين[1]. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة[2].

قال عنه الإمام سعيد بن المسيب: «لو شهدتُ لأحدٍ أنَّه من أهل الجنة لشهدتُ لابن عمر»[3].

مناقبه جمّة أثنى عليه رسول الله ﷺ ووصفه بالصلاح.

---

(١) انظر: الإصابة: ٢/ ٣٤٧.

(٢) الأعلام: ٤/ ١٠٨.

لم يتخلّف عن مشهد مع رسول الله ﷺ بعد الخندق وكان ـ رحمه الله ـ من أهل العلم والورع. قال ميمون بن مهران: «ما رأيت أورَع من ابن عمر»[١].

وشهد عبد الله كثيراً من الفتوحات الإسلامية في عهده كفتح مصر وأفريقيا والشام والعراق وفارس[٢]. وعندما وقعت الفتن بين المسلمين اعتزل أحداثها وتفرّغ للعلم والعبادة.

وحفصة ـ رضي الله عنها ـ أخت شقيقة لعبد الله بن عمر، وهي أسنُّ منه[٣].

وكان لحفصة ـ رضي الله عنها ـ ثلاثة إخوة باسم عبد الرحمن.

أما الأول: فهو عبد الرحمن الأكبر الأخ الشقيق لعبد الله وحفصة[٤].

وأما الثاني: فهو عبد الرحمن الأوسط، ويُكنّى أبا شحمة،

---

(١) انظر: الجوهرة: ٢/ ١٤٢.
(٢) انظر: عبد الله بن عمر الصحابي المؤتَسي برسول الله ﷺ، ص١٦١.
(٣) مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٣.
(٤) انظر الإصابة: ٢/ ٤١٣.

وهـو الذي حدَّه عمرو بن العاص بمصر في الخمـر ثم حملـه إلى المدينـة فضربه أبـوه. وكانت وفاته قبل وفاة أبيه بمدة[1]. وهذا الأوسط ليس شقيقاً لحفصة ـ رضي الله عنها ـ وإنما هو أخوها لأبيها وتسمّى أمه أم لُهَيَّة[2].

وأما الثـالث: فهو الأصغر ويُسـمّى أبو المجبَّر، والمجبّر: اسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمر، وإنما سُمّي المجبّر لأنـه وقع وهو غـلام فتكسر، فأُتي به إلى عمتـه حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهـا ـ فقيـل لهـا: انظري إلى ابـن أخيـك المكسَّـر. فقالت: ليس بالمكسّر ولكنه المجبَّر[3].

وقيل: عبد الرحمن الأصغر هو الذي ضربه عمر ـ رضي الله عنه ـ على الخمر. وهو أبو شحمة، وهو شقيق حفصة لأبيها، وأمه تسمّى فكيهة أم ولد[4].

وقد وردت إشـارة إلى أختٍ لها هي فاطمـة بنت عمر في

---

(١) الإصابة: ٣/ ٧٢؛ الاستيعاب: ٢/ ٤٠٤.
(٢) الشيخان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ للبلاذري، ص١٤٦.
(٣) الجوهرة: ١/ ١٥٠؛ الاستيعاب: ٢/ ٤٠٤.
(٤) الشيخان أبو بكر وعمر، ص١٤٦.

طبقات ابن سعد[1] ولم تُشِر إلى ترجمتها كتب السير والتراجم.

خالها: عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ.

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح. أبو السائب، من سادات المهاجرين ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم ﷺ فصلَّى عليهم.

هاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدرٍ وكان عابداً مجتهداً، وهو أول مَنْ دُفن ببقيع الغرقد، فوضع رسول الله ﷺ عند رأسه حجراً وقال: «هذا قبر فرَطنا». وكان ممَّن حرَّم الخمر في الجاهلية وقال: لا أشرب شراباً يُذهِب عقلي ويُضحك بي مَن هو أدنى منّي، ويحملني على أن أنحكح كريمتي.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخلت على امرأة عثمان بن مظعون وهي تلبس لباساً مبتذلاً. فسألتها: ما شأنكِ؟ فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. فدخل النبي ﷺ فذكرَتْ ذلك له عائشة ـ رضي الله عنها ـ فلقي النبي ﷺ عثمان. فقال: يا عثمان إنَّ الرهبانية لم تُكتَب علينا. أما لكَ فيَّ أسوة؟ فوالله إنَّ

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٠.

أخشاكم الله وأحفظكم لحدوده أنا .

مات في شعبان سنة ثلاث للهجرة . عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميّت ودموعه تسيل على خدّ عثمان بن مظعون .

ولما ماتت بنتُ رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : الحقي بسلفنا الخيّر عثمان بن مظعون(١) . رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

(١) انظر : سير أعلام النبلاء : ١/ ٥٣ ؛ السيرة النبوية : ١/ ٢٥٣ .



الفَصْل الثالث

زواجها الأول من خُنيس بن حُذافة
ـ رضي الله عنه ـ

كانت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ قبل زواجها من رسول الله ﷺ عند خُنيس بن حذافة بن عدي السهمي[1]. وحين انبلج نور الإسلام دخلا معاً في دين الله الجديد[2].

هاجر خنيس بن حُذافة ـ رضي الله عنه ـ إلى الحبشة في الهجرة الأولى[3]. وكانت هجرة المهاجرين في رجب سنة خمس من البعثة. وكان فوج المهاجرين مكوّناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، يرأسهم

---

(١) المعارف، ص١٣٥؛ الوفا بأحوال المصطفى ﷺ: ٢/ ٣٤٩؛ أعلام النساء: ١/ ٢٧٥.

(٢) الأعلام: ٢/ ٢٦٥.

(٣) السيرة النبوية: ١/ ٣٢٨.

عثمان بن عفان، ومعه السيدة رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ، وقد قال النبي ﷺ فيهما: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام». وكان رحيل هؤلاء تسللاً في ظلمة الليل حتى لا تفطن لهم قريش، خرجوا إلى البحر ويَمَّموا ميناء شعيبة، وقيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش، فخرجت في آثارهم، ولكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين. وأقام المسلمون في الحبشة في جوار ملكها العادل الذي أحسن وفادتهم.

وفي رمضان من السنة نفسها خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وهناك جَمْعٌ كبير من قريش كان فيه ساداتها وكبراؤها، فقام فيهم وأخذ يتلو سورة النجم، وبدا أن أولئك الكفار كأنهم لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك؛ لأن أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلامٌ إلـٰهي مؤثّر، جعل القوم مشدودين إليه، وبقي كل واحد مُصْغياً إليه لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة القوارع التي تطير لها القلوب ثم قرأ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩﴾ [النجم: ٦٢] فلم يتمالك أحد نفسه حتى خرّ ساجداً.

وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت جانب العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا إلا أن يخرّوا لله ساجدين، وسقط في أيديهم لما أحسّوا أن جلال كلام الله لوَّى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون في محوه وإفنائه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب ممَّنْ لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله وافترَوا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها: «تلك الغرانقة العُلى وإن شفاعتهن لترتجى» جاؤوا بهذا الإفك المبين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ وليس يُستغرَب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب ويطيليون الدسَّ والافتراء.

بلغ هذا الخبر إلى مهاجري الحبشة ولكن في صورة تختلف تماماً عن صورته الحقيقية، بلغهم أنّ قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكّة في شوال من السنة نفسها، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جليّة الأمر رجع منهم مَنْ رجع إلى الحبشة، ولم يدخل مكة مِنْ سائرهم أحد إلا مُسْتخفياً أو في جوار رجل من قريش.

ثم اشتدَّ عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش وسَطَتْ عليهم عشائرهم، فقد كان صعباً على قريش ما بلغها عن

النجاشي من حُسن الجوار، ولم يرَ رسول الله بُدّاً من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى[1].

وعاد خُنيس بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ من أرض الحبشة لمّا بلغ المسلمين هناك إسلامُ أهل مكة[2].

ولم تذكر كتب السيرة والتراجم شيئاً عن هجرة السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ إلى الحبشة مع زوجها، ويبدو أنها بقيَتْ في مكة، وحالت بينها وبين الهجرة ظروف لم يذكرها العلماء المعنيُّون بتسجيل أحداث السيرة.

ثم هاجر ـ رضي الله عنه ـ إلى المدينة المنورة، وهاجرت معه زوجته السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ[3]. ومن هنا ذُكرت بأنها كانت من المهاجرات[4].

شهد خُنيس ـ رضي الله عنه ـ مع رسول الله ﷺ بدراً، ولم

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص١٠٦.
(٢) السيرة النبوية: ١/ ٣٦٧.
(٣) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ: ٢/ ٣٤٩؛ الأعلام: ٢/ ٢٦٥.
(٤) أُسد الغابة: ٥/ ٤٢٥؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٨. الجوهرة: ٢/ ٦٣.

يشهد من بني سهم بدراً غيره[1].

ثم شهد أُحُداً ونالَتْه فيها جراحة مات منها بالمدينة المنورة[2] رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وهو شهيد وإن لم يسقط في معارك الإسلام، وإنما سقط متأثراً بجراحة بليغة أصيب بها وهو يذود عن حرمات هذا الدين.

وجاء في (السيرة الحلبية)[3]: توفي زوجها بجراحة أصابته ببدر، وقيل: بأحُدٍ وهو خطأ لأن النبي ﷺ تزوج حفصة ـ رضي الله عنها ـ على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أُحدٍ بشهرين.

أما صاحبا (أُسد الغابة) و(عيون الأثر)[4] فقد قالا: كان خُنيس ـ رضي الله عنه ـ ممَّنْ شهد بدراً فهاجر بها ـ أي: حفصة رضي الله عنها ـ إلى المدينة فمات بها من جراحات أصابته ببدر، وقيل: بأُحُد.

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ١٦٤؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٢٩.
(٢) السيرة النبوية: ١/ ٢٥٦؛ الكاشف: ٢/ ٥٠٥.
(٣) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٤.
(٤) أُسد الغابة: ٥/ ٤٢٥؛ عيون الأثر: ٢/ ٣٨٠.

والراجح أن وفاته ـ رضي الله عنه ـ بعد أحد لأنه قول الأكثرين كما يقول ابن عبد البر في (الاستيعاب)[1].

وكان خُنيس ـ رضي الله عنه ـ رسولَ النبي ﷺ إلى كسرى ولا عقب له من زوجته حفصة ـ رضي الله عنها ـ[2].

* * *

---

(١) الاستيعاب: ٤/ ٢٦٩.

(٢) المعارف، ص١٣٥. والراجح أن رسول كسرى هو أخوه عبد الله؛ انظر الأعلام: ٤/ ٧٨.

الفَصل الرابع

زواجها من النبي ﷺ وحياتها معه

وتمرّ الأيام بطيئة ثقيلة، والأرملة المسكينة تتجرّع كأس الوحدة والحزن والأسى على فقيدها الراحل ـ خنيس بن حذافة رضي الله عنه ـ ويرقب ذلك الأب الرؤوف في ابنته، فيتجرّع معها كأس الحزن ومرارته، ولكنها مشيئة الله وإرادته، فما عليكِ يا بنيّتي إلا الصبر المصابرة لعلَّ الله يأجركِ في مصيبتكِ ويخلفكِ خيراً منه.

وينبلج فجر يومٍ جديد ليُنذر بانتهاء أيام العدَّة... إنها أيام طويلة محزنة عاشتها السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ راضية بقضاء الله مستسلمة لإرادته، فلا رادَّ لقضائه ولا مبدِّل لكلماته. ويخرج الأب الحنون من بيته لعلَّه يجدُ في أصحابه مَنْ يرغب في زواج ابنته حفصة ـ رضي الله عنها ـ. وقد يكون شعور عمر ـ رضي الله عنه ـ هذا شعوراً فطرياً متمكناً منه ـ رضي الله عنه ـ الوالد الإنسان،

فلا يدوم أحد غير وجهه الكريم، واستقرار الفتاة في بيت زوجها يكرمها ويصونها ويحميهـا من الغوائل وهذا أولى لها من العزلـة والانفراد. وتلك سنّة الكون وشأن هذه الحياة. ومن هنا كان عمر ـ رضي الله عنه ـ في مواجهة هذا الموقف رجلاً واقعياً، يريد لابنته التي توفي عنها زوجها كل خير واستقرار فلا غرابة أن نقرأ له في ثنايا سيرته بحثه لابنته عن الزوج الصالح لها، وليس في ذلك غضٌّ من شأنه وشأنها، ولا تثريب عليه في ذلك.

واليـوم قد يستثقل بعض أولياء الأمور مثل هذا التصرُّف، ويَرَوْن في العرف الغالب ما يدعوهم إلى السكوت والانتظار ليقرع الخاطبُ البابَ، وأوْلى لهؤلاء الآباء أن يستنُّوا بسُنّة عمر ـ رضي الله عنه ـ من أن يتابعوا أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول عمر ـ رضي الله عنه ـ: حين تأيَّمَتْ حفصة من خنيس بن حذافة السهمي، أتيت عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فعرضتُ عليه حفصة، وكان ذلك حين ماتت رقية بنت النبي ﷺ[1]. قال عمر: قلت: إن شئتَ أنكَحْتُكَ حفصة. فقال: سأنظر في أمري.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٨١.

فمكثتُ ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقلت: إن شئت زوَّجْتك حفصة، قال عمر: فصَمَتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أَوْجَد مني على عثمان[1]..

يا الله... ما الذي جرى لأولئك الصحب مِنْ حولي.. لماذا يُعرضون عنكِ يا بنتي، ولا يرغبون في الزواج منك؟ لماذا يهربون منك؟... مهلاً يا بن الخطاب.. مهلاً يا بن الخطاب.. لقد أبدلها الله خيراً من فقيدها الغالي نتيجة الصبر والإيمان، لقد هيَّأ الله لها زوجاً أفضل من صاحبيك ـ عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما ـ مهلاً يا بن الخطاب إنَّ الله لا يضيع الصابرين المؤمنين، ها هو رسول الله ﷺ هناك ينتظرك ليزفَّ إليك البشرى العظيمة، فاسعدي يا بنة الخطاب وقرّي عيناً.. فاسعدي يا بنة الخطاب وانعمي بالحبور في الدنيا والآخرة.. إنها البشرى العظيمة.. إنه الزواج من رسول الله ﷺ.

وها هو رسول الله ﷺ يخبر عمر صفيَّه بخبرٍ سعيدٍ سيكون له

---

(١) الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٨؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٨؛ السمط الثمين، ص٩٦؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٢٩.

قرّة عين، ولابنته حفصة مصدر هناءة فيقول له: يا عمر ألا أدلُّك على ختنٍ هو خير لك من عثمان، وأدُلُّ عثمان على ختنٍ هو خير منك، ويجيب عمر ـ رضي الله عنه ـ بلى يا رسول الله. فتزوج النبي ﷺ حفصة، وزوَّج بنتاً له عثمان[1] ـ رضي الله عنه ـ.

وتمرُّ الأيام ويلتقي الصاحبان ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ فيقول أبو بكر لعمر: لعلّك وَجَدْتَ عليَّ حين عَرَضْتَ عليّ حفصة، فلم أُرجع إليك شيئاً. قال عمر: نعم. قال أبو بكر: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أنّ رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[2].

وتُزَفُّ العروس لرسول الله ﷺ وتنضمُّ ـ رضي الله عنها ـ إلى زوجاته عائشة وسودة ـ رضي الله عنهما ـ.

أما تاريخ زواجه منها ﷺ فقد اختلف المؤرخون على قولين، القول الأول وهو الصحيح: أنَّ ذلك كان سنة ثلاث من الهجرة،

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٢؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٩؛ أُسد الغابة: ٥/ ٤٢٥.

(٢) الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٨؛ الجوهرة: ٢/ ٦٤؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٢؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٣٠.

وذلك بعد وفاة زوجها خُنيس بن حُذافة الذي أصابته جراح يوم أحدٍ نزف على أثرها ـ كما مرَّ معنا ـ ومعركة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة. وقد ذهب إلى ذلك المزي في (تهذيب الكمال)[1]. ووصف ابن عبد البر في الاستيعاب[2] هذا القول بأنه قول الأكثرين.

وأما القول الثاني: فيذهب إلى أن ذلك كان سنة اثنتين من الهجرة بعد وفاة زوجها الذي أصابته جراح يوم بدر. ويحدد ذلك المؤرخ ابن زبالة[3] بشعبان على رأس ثلاثين شهراً من هجرته ﷺ قبل أُحُد بشهرين. وذهب إلى ذلك النووي[4]. وكان زواجه منها ﷺ بعد عائشة ـ رضي الله عنهما ـ[5] وأمهرها رسول الله ﷺ بساطاً ووسادتين وكساءً رحباً، يفترشان في القيظ والشتاء نصفه ويلتحفان نصفه، وإناءين أخضرين، وأولم عليها المهاجرين دون الأنصار وطْبة ماقوطة بسمن وتمر وعجوة وسويقاً ملتوتا[6].

---

(١) تهذيب الكمال: ٣/ ١٥٣.
(٢) الاستيعاب: ٤/ ٢٦٩.
(٣) أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة، ص٥٧.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٣٣٨.
(٥) مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٣.
(٦) أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة، ص٥٧؛ الوطبة: الحَيْس يجمع بين التمر =

ونودّ الآن أن نستجلي أخبار السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بعد أن انضمّت إلى البيت النبويّ الكريم من خلال بعض العناصر التي اتّسمت بها.

* * *

= والأقط والسمن. وما قوطة مخففة من مأقوطة وأقَطَ الطعامَ يأقِطه أقْطاً عَمِله بالأقط وهو من ألبان الإبل. والسويق: طعام يُتَّخَذ من الحنطة والشعير.

غَيْرَة الضرائر

سوف نمضي مع السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ في بيتها الجديد مع رسول الله ﷺ لنتأمل الروايات المتناثرة التي نقلها عنها المؤرّخون ومؤلفو السيرة.

لقد عُرِفَت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بمسألة الغَيْرة من ضرائرها، وهذا الأمر قد يبدو طبيعياً عند أكثر النساء اللواتي لهنّ ضرائر، فمن طبيعة المرأة حبها لزوجها وحرصها على أن يكون لها وحدها، لا تشاركها في ذلك امرأة ثانية، وكيف لا تكون مسألة الغيرة متملكة للسيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ وهناك طائفة من النساء يشاركنها حبها لرسول الله ﷺ.

ويشير الحديث الذي رواه البخاري[1] أنَّ نساء رسول الله ﷺ

---

(١) فتح الباري: ٥١ كتاب الهبة، ٨ باب من أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض: ٥/ ٢٤٣.

كُنَّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ـ رضي الله عنهن ـ والحزب الآخر فيه أم سَلَمة وسائر نساء رسول الله ﷺ.

يقول ابن حجر[1]: «في الحديث تنافس الضرائر وتغايرهن على الرجل، وأن الرجل يَسَعه السكوت إذا تقاوَلْن ولا يميل مع بعض على بعض.

وتشير كتب الحديث إلى شيء من هذا التنافس والغيرة في البيت النبوي، ونلحظ من خلالها تصرُّف رسول الله ﷺ تصرفاً حكيماً في التوفيق بين نسائه. ولكن الأمر قد يصل في بعض المواقف إلى درجة يلزم معها الحزم من جانبه ﷺ.

وسوف نسوق الآن بعض الروايات التي كانت من خلالها السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ طرفاً في المنافسة بين أزواج النبي ﷺ أو الغيرة أو التقاول. ولا ننسى أبداً أنّ البيت النبوي يعيش فيه بشر، بيد أنّ ربّ هذا البيت كان من صفوة البشر.

ذكر الشوكاني في (فتح القدير)[2] في سبب نزول قوله

---

(١) فتح الباري: ٥/ ٢٤٦.
(٢) فتح القدير: ٥/ ٢٥١؛ وانظر: السمط الثمين، ص٩٨.

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحريم: ١] هو أنّ مارية القبطية[1] أم ولده إبراهيم ـ عليه السلام ـ أصابها النبي ﷺ في بيت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ وفي يومها. فوجَدَتْ حفصة في نفسها. فقالت: يا رسول الله لقد جئت إليّ بشيء ما جئته إلى أحدٍ من أزواجك في يومي، وفي دَوْري وعلى فراشي. فقال ﷺ: «ألا ترضين أن أُحرِّمها فلا أقربها أبداً»؟ قالت حفصة: بلى. فحرَّمها رسول الله ﷺ وقال: «لا تذكري ذلك لأحد. فذكرته لعائشة ـ رضي الله عنها ـ فأظهره الله عليه. فأنزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ﴾ [التحريم: ١ ـ ٤]. فبلغنا أن النبي ﷺ كفَّر عن يمينه وأصاب مارية».

---

(١) مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم، ومن سراري النبي ﷺ. مصرية الأصل، أهداها المقوقس القبطي سنة ٧هـ للنبي ﷺ فولدت له إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ماتت في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة ودُفنت بالبقيع، انظر: الأعلام: ٥/ ٢٥٥.

قال القرطبي[1]: «أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة ـ رضي الله عنها ـ لما خلا النبي ﷺ بجاريته مارية. وعلى هذا فكأنه قال: لا يَحْرُم عليك ما حرَّمْتَه على نفسك، ولكن عليك كفارة يمين، ضممت إلى التحريم يميناً فكفّر عن اليمين فإن النبي ﷺ حرَّم ثم حلف».

ويقول القرطبي[2]: «تحليل اليمين كفارتها، أي: إذا أحببتم استباحة المحلوف عليه، وهو قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ويقول في تفسير قوله تعالى[3]: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا... ﴾ أي: «واذكر إذ أسرَّ النبي إلى حفصة حديثاً يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه إياها ذلك».

---

(١) تفسير القرطبي، ص٦٦٦٣.
(٢) المرجع السابق، ص٦٦٦١.
(٣) المرجع السابق، ص٦٦٦٥.

وواضح ممَّا مرَّ: غيرة السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ من مارية القبطية وأنها لما شعرت بأنَّ سبب غيرتها قد زال عندما حرَّم رسول الله ﷺ على نفسه جاريته فأسرعَتْ ولم تتمالك نفسها وتحفظ سرّ رسول الله ﷺ وأخبرة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بهذا الخبر. وقد نزل القرآن الكريم يخبره ﷺ بما تمّ بين حفصة وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ من إشاعة السر.

قال القرطبي[1]: «وجازاها رسول الله ﷺ بأَنْ طلَّقها طلقة واحدة، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ لابنته: لو كان في آل الخطاب خيرٌ لما كان رسول الله ﷺ طلَّقكِ. فأمره جبريل ـ عليه السلام ـ بمراجعتها وشفع فيها، واعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً.

وقيل: هَمَّ رسول الله ﷺ بطلاقها، حتى قال له جبريل ـ عليه السلام ـ لا تطلِّقها فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها من نسائك في الجنة. فلم يطلّقها رسول الله ﷺ». وفي هذا الخبر يطلب جبريل ـ عليه السلام ـ وهو الوحي الأمين من رسول الله ﷺ أن لا يطلّقها، ويبيّن سبب ذلك فهي صوّامة قوّامة، وهي من نسائه في الجنة. وهذه

---

(١) تفسير القرطبي، ص٦٦٦٦.

شهادة فخر واعتزاز يجدر بالسيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ أن تزهوَ بها فهي باقيةٌ في البيت النبوي الطاهر وهي حائزة لأوصاف عظيمة تُـنْبئ عن رضوان الله ومحبته.

وثمة رواية ثانية في أسباب نزول آية التحريم ذكرها البخاري[1]: «عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ ويمكث عندها فواطَأْت أنا وحفصة عن أيّتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير. قال: لا. ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ولن أعود له وقد حلفتُ لا تخبري أحداً بذلك».

وفي القرطبي[2]: «كان رسول الله ﷺ يحبّ الحلواء والعسل، فكان إذا صلّى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة ـ رضي الله عنها ـ فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس. فسألتُ ـ أي: عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن ذلك؟ فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة من عسل، فسَقَتْ رسولَ الله ﷺ منه شَرْبَة فقلتُ: أما

---

(١) فتح الباري، ٦٥ كتاب التفسير، ٦٦ سورة التحريم: ٨/ ٥٢٤.

(٢) تفسير القرطبي، ص٦٦٥٦؛ وانظر: السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٥؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٥؛ تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٨٧.

والله لنحتالنّ له. فذكرت ذلك لسَوْدة ـ رضي الله عنها ـ وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: يارسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا. فقولي له: ما هذه الريح؟ ـ وكان رسول الله ﷺ يشتدُّ عليه أن يوجد منه الريح ـ فإنه سيقول لك: سَقَتْني حفصة شَرْبة عسل. فقولي له: جَرَسَتْ نحلُه العُرفط. وسأقول ذلك، وقوليه أنت يا صفية. فلما دخل رسول الله ﷺ على سَودة. قالت: تقول سودة: والله الذي لا إلـه إلا هو لقد كِدْتُ أن أبادئه بالذي قلت وإنه لعلى الباب فَرَقاً منكِ. فلما دنا رسول الله ﷺ قلت: يارسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا. قلت: فما هذا الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. قلت: جَرَسَتْ نحلُه العرفط؟ فلما دخل عليّ قلت له مثل ذلك. ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك. فلما دخل على حفصة قالت له: يارسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي به. قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حرمناه. قالت: قلت لها: اسكتي.

وفي البخاري نحو من هذه الرواية. ويذكر ابن حجر[1]: «أن قصة شرب النبي ﷺ العسل عند بعض نسائه وردت من وجهين.

---

(١) فتح الباري، ٦٨ كتاب الطلاق، ٨ باب لِمَ تحرِّم ما أحلّ الله لك: ٩/ ٢٨٧.

أحدهما من طريق عبيد بن عمير عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفيه أنَّ شُرْب العسل كان عند السيدة زينب بنت جحش. والثاني من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّ شرب العسل كان عند حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهن جميعاً ـ.

قال ابن حجر: يمكن تعدد القصة في شرب العسل وتحريمه، واختصاص النزول بالقصة التي فيها أن عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ هما المتظاهرتان. ويمكن أن تكون القصة التي وقع فيها شرب العسل عند حفصة كانت سابقة».

والمغافير: صمغ حلو له رائحة كريهة، مفرده مغفور. وجَرَسَتْ: أي رعت نحلُ هذا العسل شجر العرفط. والعرفط: هو الشجر الذي صمغه المغافير. قال ابن قتيبة: هو نبات مُرّ له ورقة عريضة، وهو خبيث الرائحة»[1].

قال ابن حجر[2]: «في الحديث من الفوائد ما جُبل عليه النساء من الغيرة، وأن الغيراء تُعْذَر فيما يقع منها من الاحتيال فيما يدفع عنها ترفُّع ضرتها عليها بأي وجه كان». وعلى هذه الرواية

---

(١) فتح الباري: ٩/ ٢٩٠.

(٢) المرجع السابق: ٩/ ٢٩٣.

فيكون تفسير آيات سورة التحريم[1] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ يعني العسل المحرَّم بقوله: لن أعود له، تفعل ذلك طلباً لرضا أزواجك. والله غفور رحيم. رحيم لما أوجب المعاتبة، رحيم برفع المؤاخذة. وقد قيل إنّ ذلك كان ذنباً من الصغائر، والصحيح أنه معاتبةٌ على ترك الأَوْلى، وإن لم تكن له صغيرة ولا كبيرة».

وذكر الشوكاني[2] في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال ﷺ لحفصة - رضي الله عنها - أبوك وأبو عائشة وَاليا الناس بعدي، فإياكِ أن تخبري أحداً بهذا. ولكن الشوكاني رجّح الروايات السابقة على هذه الرواية.

واختلفت الروايات في اسم الزوجة التي دخل عليها رسول الله ﷺ فاحتبس عندها أكثر مما يحتبس وسَقَتْه العسل. كما اختلفت الروايات في أسماء أمهات المؤمنين اللواتي تظاهرن عليه ﷺ. والحديث يشير - إن كان بقاؤه عند حفصة - رضي الله عنها - إلى اجتهاد حفصة في انتخاب ما يَسُرُّ النبي ﷺ، فقد كان

---

(١) تفسير القرطبي، ص٦٦٦٣.
(٢) فتح القدير: ٥/ ٢٥٣.

يحب العسل والحلواء، وأرادت أن يشرب عندها. كما يشير الحديث إلى غيرة الضرائر واجتماعهن على إغاظة الزوجة التي شرب عندها العسل[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر ـ رضي الله عنه ـ عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا . . . ﴾ [التحريم: ٤] حتى حجَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ وحججتُ معه، فلما كان ببعض الطريق عَدَل عمر وعدلت معه بإداوةٍ فتبرَّزَ ثم أتاني فسكبتُ على يديه فتوضأ. فقلتُ: ياأمير المؤمنينَ مَنْ المرأتانِ من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله فيهما: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾؟ قال عمر: واعجباً يابن العباس، هما عائشة وحفصة»[2].

وقد نمرُّ برواياتٍ في السيرة كانت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ من خلالها تعتمد على السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ في بعض المواقف الحرجة لتنوب عنها. ولعلّ توافقهن شجَّعها على ذلك. روت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: («لمّا ثَقُل

---

(١) فتح الباري: ١٢/ ٣٥٩.
(٢) فتح الباري: ٨/ ٥٢٥؛ تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٨٨.

رسول الله ﷺ جاءه بلال يُؤْذِنه بالصلاة. فقال ﷺ: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». قالت: فقلت: يا رسـول الله إنَّ أبا بكرٍ رجـلٌ أسِيف[١]، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسْمِعُ الناس، فلو أمرتَ عمر. قال ﷺ: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». قالت: فقلت لحفصة: قولي له. فقالت له حفصة: يا رسول الله إنَّ أبا بكر رجل أسِيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرتَ عمر. قال ﷺ: «إنكن صواحبُ يوسف. مروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس»[٢].

ونلمح واضحاً في طباع السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ ما في النساء من غيرةٍ وحبّ الاستئثار. فقد رُوي أنه كان من عادة النبي ﷺ أنه يحمل بعضَ أزواجه معه في غزواته. وصادف أن خرج مرةً ومعه عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ وتضايقت حفصة من ملازمة رسـول الله ﷺ لهودج السـيدة عائشـة يكلّمها ويسـايرها ويحدّثها. فاتّفقت حفصة وعائشة أن يتبادلا هَوْدَجَيْهما حين نزل المسلمون في بعض الأماكن للراحة. وبعد الرحيل تقدّم ﷺ من هودج عائشة وأخذ على عادته يكلّمها ويحدّثها، وهي ـ السيدة حفصة ـ متنقّبة لا تردّ إلا همهمة وهمساً، ولم يكتشف عليه الصلاة والسلام وجود

---

(١) أسِيف: يغلبه البكاء والحزن.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى: ٢/ ٥٢١.

حفصة في هودج عائشة إلا آخر الأمر. فتضايق وتألَّم وعاتب[1].

وقد تنقلب بعضُ نِعَم الله على الإنسان نِقْمةً بدلاً أن تكون نعمة. فهذه أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ الموصوفة بالحُسن والجمال، لم تنجُ من غيرة ضرائرها تجاهها. عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لمَّا تزوّج رسول الله ﷺ أمَّ سلمة حزنتُ حزناً شديداً لِما ذكروا لنا من جمالها. قالت: فتلطَّفتُ لها حتى رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وُصِفَتْ لي في الحسن والجمال. قالت: فذكرتُ ذلك لحفصة ـ وكانتا يداً واحدة ـ فقالت: لا والله إنْ هذه إلا الغيرة، ما هي كما يقولون، فتلطَّفَتْ لها حفصة حتى رأتها، فقالت: قد رأيتها، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب، وإنها لجميلة، قالت: فرأيتها بعد، فكانت لعمري كما قالت حفصة، ولكني كنت غَيْرى»[2].

وقد تبدو الغيرة جلية بين الضرائر، ولاسيما إذا كانت إحداهن قد وهبها الله صفة الجمال أكثر من غيرها إلى جانب محبة الزوج لها. فها هي السيدة عائشة تحدّثنا عمَّا فعلته هي والسيدة حفصة ـ رضي الله عنهما ـ مع السيدة صفية عندما علمتا بحسنها وجمالها، وذلك

---

(١) من أعلام النساء سيرة ومنهاج، ص١٣١.
(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٦٤٠.

في ضوء الرواية التالية: لمّا نزل رسول الله ﷺ المدينة، أنزل صفية في منزل الحارث بن النعمان، وانتقل الحارث عنها. وكانت عائشة وحفصة يداً واحدة، فأرسلت عائشة بريرة إلى أم سلمة تُسلم عليها وتسألها عن صفية أظريفة هي؟ فقالت أم سلمة: مَنْ أرسلكِ عائشة؟ فسكتت بريرة، فعرفت أم سلمة أنها أرسلتها. فقالت أم سلمة: لعمري إنها لظريفة وإنّ رسول الله ﷺ لها لَمُحبّ. فجاءت بريرة فأخبرت عائشة خبرها. فخرجت عائشة متنكرة حتى دخلت على صفية وعندها نسوة من الأنصار، فنظرت إليها وهي متنقّبة. فعرفها رسول الله ﷺ. فلما خرجت رجع إليها رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة كيف رأيت صفية؟» قالت: ما رأيت طائلاً، رأيت يهودية بين يهوديات. ولكن قد أُخْبِرْتُ أنكَ تحبّها. فهذا خير لها مِنْ لو كانت ظريفة. قال: «يا عائشة لا تقولي هذا فإني عرضت عليها الإسلام فأسرعَتْ وأسلمَت وحَسُنَ إسلامها» قال: فرجعت عائشة فأخبرت حفصة بظرفها. فدخلت حفصة عليها فنظرت إليها ثم رجعت إلى عائشة فقالت: إنها لظريفة وما هي كما قلت»[1].

---

(١) المغازي: ٢/٧٠٨.

ومما ترويه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن غيرة الضرائر: أنّ امرأة يُقال لها ابنة الجونِ لمَّا أُدْخلت على رسول الله ﷺ، وكانت من أجمل النساء، وأنّ عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشّطتاها وخضّبتاها وقالت لها إحداهما: إنّ النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول: أعوذ بالله منك، وإنك من الملوك، فإن كنتِ تريدين أن تَحْظَيْ عند رسول الله ﷺ فاستعيذي منه إذا جاءكِ. ولمَّا أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك. فقال لها: «لقد عُذْتِ بعظيم الحقي بأهلك»[1].

ومع كون السيدة حفصة من حزب السيدة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ إلا أنَّ هذا لا يمنع من وجود الغيرة بينهما. تقول السيدة عائشة: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه فصنعتُ له طعاماً، وصنعتْ له حفصةُ طعاماً، فسبقتني حفصة، فقلت للجارية: انطلقي فاكفئي[2] قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي ﷺ فكفأتها، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام، فجمعها النبي ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثم بعثت بقصعتي فدفعها النبي ﷺ إلى حفصة

(١) فتح الباري: ٩/ ٢٧٢.
(٢) اكفئي: اقلبي قصعتها ليُصَب ما فيها.

فقال: «خذوا ظرفاً مكان ظرفكم وكلوا ما فيها»[1].

وممَّا ترويه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أيضاً تقول: ما رأيت صانعاً مثل حفصة، صنَعَتْ طعاماً فبعثت به إلى النبي ﷺ، فأخذني الأفْكلُ[2]، فكسرت الإناء، فقلت: يا رسول الله ما كفارةُ ما صنعتُ؟ فقال: إناءٌ مثل إناء، وطعامٌ مثل طعام[3].

* * *

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٥٣٦.
(٢) الأفكل: الرعدة.
(٣) سنن أبي داود: ٢/ ٢٦٧؛ المغني: ٧/ ٣٦١.

طلب الإنفاق

سوف نشير في الصفحات القادمة إلى جانب من الأحداث التي كانت تجري في البيت النبوي بين رسول الله ﷺ وبعض أزواجه. والبيت النبوي يعيش فيه نساء يصطحبن عواطفهن وغيرتهن وتنافسهن وأنوثتهن، ومن الطبيعي أن يكون لهن رغبة في التوسّع في النفقة عليهن، ورسول الله ﷺ عاش زاهداً في معيشته راغباً في التخفيف من زخارف الدنيا فضرب المثل الأعلى في القدوة الصالحة بأن لا يركن الناس إلى هذه الدنيا الزائلة، وإنما يجتهدون في الآخرة ونعيمها الخالد.

وتذكر الروايات المبثوثة في السيرة إلى ضروب من الحوار بين الرسول ﷺ وبعض نسائه في طلب الإنفاق والتوسّع فيه، ومن ذلك:

شجَرَ بين النبي ﷺ وحفصة أمر، فقال لها: اجعلي بيني وبينكِ رجلاً، قالت: نعم. قال: فأبوكِ إذاً. فأرسلَتْ إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فجاء. فلما دخل عليهما قال لها النبي ﷺ:

«تكلّمي» . قالت : بل أنت يارسول الله تكلَّم ، ولا تقل إلا حقاً . فرفع عمر ـ رضي الله عنه ـ يده فأوجأها في وجهها . فقال له النبي ﷺ : «كُفَّ ياعمر» ، فقال عمر : يا عدوّة الله ، النبي ﷺ لا يقول إلا الحق ، والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعتُ يدي حتى تموتي[1] .

ويشير هذا المجلس إلى حدوث هذا الشجار بين رسول الله ﷺ وبين حفصة ، وسعة صدره عليه الصلاة والسلام ، حيث يطلب منها أن يكون والدها عمر شاهداً على أسباب هذا الشجار . ثم يبدر منها كلمة جافة لم تَقُلها عن وعيٍ بدلالتها ، وإنما قالتها وهي الحريصة على الوصول إلى حقها الذي تعتقده «تكلَّم ولا تقل إلا حقاً» ومن الطبيعي أن يغضب عمر ـ رضي الله عنه ـ لهذه الكلمة لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، ولا يصدر إلا عن حق . ومعاشر الرجال في زماننا عندما يسمعون من أزواجهم شيئاً على نمط هذا الكلام ، أما يسعهم ما وسع رسول الله ﷺ . فالزوجة قد تغضب وقد تحرص على الوصول إلى ما تظنّه حقاً لها ، فقد يجري على لسانها ألفاظ تتسم بالجفاف والتسرّع ، أمَا يسع الرجال ما وسع نبيهم ﷺ .

---

(١) السيرة الحلبية : ٣/ ٣١٧ .

ونشير إلى مجلسٍ آخر قد ضمّ رسول الله ﷺ وصاحبيه أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وزوجتيه حفصة وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ:

استأذن أبو بكر وعمر على رسول الله ﷺ، فأذن لهما وعنده حفصة وعائشة. قال عمر: يارسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فضربتُ عنقها. فضحك رسول الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه. وقال: «هنّ حولي يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها. وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله ﷺ. فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما عنده. وأنزل الله عز وجل الخيار(١).

ويشير هذا المجلس إلى ما قد يحدث في أي بيت من البيوت، حيث ترغب النساء في التوسُّع في الإنفاق، وهنا يبدو والدا الزوجتين حكيمين، فلا يذهب بهما الطيش والتسرّع فيحكمان فوراً مع ابنتيهما، وذلك كما يفعل بعض الآباء في زماننا هذا. وإنما يهدِّئان

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٦٨٤؛ الوفا: ٢/ ٣٥٩.

من رغبة ابنتيهما . وذلك لأنَّ البيت النبوي يأبى أن يكون مَظِنَّة ركونٍ إلى الدنيا وزخارفها .

ويروي عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول : كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وكنَّا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك . فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فضرب بابي ضرباً شديداً ، فخرجتُ إليه ، فقال : قد حدث أمرٌ عظيم . . .[1] طلَّق رسول الله ﷺ نساءه .

فقلت : خابت وخسرت حفصة كنتُ أظنُّ هذا كائناً . حتى إذا صلَّيْتُ الصبح شددتُ عليّ ثيابي ودخلتُ على حفصة وهي تبكي . فقلت : أَطلقكُنّ رسول الله ﷺ؟ قالت : لا أدري هو هذا معتزلاً في هذه المشربة . وكان نساؤه ﷺ اجتمعن عليه في طلب النفقة . فأقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدّة موجدته عليهن . قال عمر : لأقولنّ شيئاً أُضحك به النبي ﷺ . فأتيت غلاماً له ﷺ أسود ، فقلت له : استأذن لعمر . فدخل الغلام ثم خرج وقال : قد ذكرتكَ

---

(١) فتح الباري : ١/ ٢٢٣ ؛ الرياض النضرة : ٢/ ٣٤٣ .

فصَمَت. فانطلقتُ حتى أتيت المسجد فجلستُ قليلاً ثم غلبني ما أجد. فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثم خرج إليّ فقال: ذكرتُكَ له فصَمَت. فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك، ولَّيْتُ مُدبراً فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل قد أذن لك.

فدخلتُ فسلَّمْتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو متّكئ على رمل حصير قد أثَّر في جنبه. فقلت: أطلَّقْتَ نساءك. قال: فرفع إليّ وقال: «لا». فقلت: الله أكبر. ثم قلت: كنّا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء، فلما قَدِمْنَا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم. فطفِقَتْ نساؤنا يتعلَّمنَ منهنّ، فكلّمت فلانة ـ يعني زوجته ـ فراجعَتْني، فأنكرت عليها، فقالت: تنكر أن أراجعك، فوالله لقد رأيت أزواج النبي ﷺ يراجعنه وتهجره إحداهنّ اليومَ إلى الليل. فقلت: قد خاب مَنْ فعل ذلك وخسر، أتأمن إحداهنّ أن يغضب الله عليها لغضب زوجها رسول الله ﷺ.

فذهبتُ إلى حفصة فقلت: أتراجِعْنَ رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل. فقلت: قد خابَ مَنْ فعل ذلك منكن وخسر، أتأمن إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ، لا تراجعين رسول الله ﷺ ولا تسألينه شيئاً وسليني

ما بدا لك، ولا يغرنَّكِ أن كانت جارتك أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك ـ يعني عائشة ـ فتبسَّم رسول الله ﷺ، فقلتُ: أستأنس يارسول الله؟ قال: «نعم» فجلست وقلت: يارسول الله قد أثَّر في جنبك رمل هذا الحصير، وفارس والروم قد وُسِّعَ عليهم وهم لا يعبدون الله.

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «أفي شكٍّ أنت يابن الخطاب؟ أولئك قوم قد عُجِّلَتْ لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: أستغفر الله يارسول الله. فلما مضى تسعةٌ وعشرون يوماً أنزل الله تعالى أن يخيّر نساءه في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩]. فنزل رسول الله ﷺ فدخل على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: يارسول الله أقسمتَ أن لا تدخل علينا شهراً وقد دخلت وقد مضى تسعة وعشرون يوماً. فقال ﷺ: «إنَّ الشهر تسع وعشرون»[١].

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٧؛ الرياض النضرة: ٢/ ٢٩٢.

في هذه الحادثة دروسٌ وعِبر يجدر بنا أن نقف على بعضها :

١ ـ هذا النبي ﷺ يُؤَثّر في جنبه رمل الحصير، ويُؤْثِر ألاّ يتوسّع في الإقبال على هذه الدنيا وزخرفها، وهو القادر على ذلك، ولكنه يضرب المثل الأعلى للأجيال المسلمة بأنّ هذه الدنيا عَرَضٌ زائل، والآخرة خيرٌ وأبقى. ولو كان ﷺ بعيداً ـ مقدار ذرّة ـ عن الصدق واليقين في دعوته لصنع كما يصنع ملوك فارس والروم، حيث ينغمسون في جنبات النعيم والترف ويحقق لنفسه من مظاهر الأبّهة والعَظَمة الشيء الكثير. ولكنّه يأبى على نفسه شيئاً من ذلك. وفي ذلك درس لنا اليوم وقد توسّعنا في مظاهر الدنيا وزينتها ألا نَغْفُلَ عن حقيقة زوالها وألا تطغى علينا فتصل إلى قلوبنا، وتجعلنا غافلين عن الحياة الآخرة الخالدة.

٢ ـ أتراجعن رسولَ الله ﷺ؟.

ـ نعم وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل.

وقفة مع هذا الحوار، ولا نريد أن نستنتج منه لنحضّ النساء على الجدل والتمرّد في زماننا فنقول: هذه حفصة تراجع زوجها رسول الله ﷺ وتهجره اليومَ إلى الليل. وإنما نقول: هذا أمر لا ينبغي أن يحدث بين الزوجين لأنه خلاف الأصل. الأصل هو

المحبة والمودة والمعاشرة بالحسنى، الأصل هو أن الزوج جنّتها ونارها فعليها أن تطيعه. الأصل هو أنّ طاعته عبادةٌ تتقرّب بها الزوجة إلى الله تعالى. ولكن قد تحدث غيوم وأسباب تؤدي إلى نفرة بين الزوجين، فما أجدرها أن تكون ضمن حدود ما أشار إليه الحوار السابق، فيكون هناك مراجعة من المرأة لزوجها. وقد يكون صِنْف من الهجر اليسير بينهما، ولكن كما قلنا هذا خلاف الأصل، وهذا ضمن حدود يسيرة.

فيا معشر الرجال أرأيتم إلى رسول الله ﷺ، إنه يقبل المراجعة وهو النبي المؤيَّد من الله ويجري في بيته مظاهر من النفرة المؤقتة بالزمن اليسير.

هذه التصرفات وأمثالها جعلت رسول الله ﷺ يقاطع حفصة ناوياً طلاقها، فعلم عمر ـ رضي الله عنه ـ بالخبر فجاء إلى ابنته غاضباً يشتدّ عليها في الكلام ويقسو. فبكت وأقسمت أن لا تعود إلى إغضاب رسول الله ﷺ. وبعد أيام جاءها رسول الله ﷺ زائراً فجلست بين يديه وقد سالت عبرات الندم ودموع التوبة على وجنتَيْها. فرَقَّ لها قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام[1].

---

(١) من أعلام النساء سيرة ومنهاج، ص١٣١.

وقيل[1]: طلَّقها رسول الله ﷺ تطليقة واحدة لأنّها أفشَتْ سرّه ثم ارتجعها. ودخل علها رسول الله ﷺ وقال لها[2]: نزل عليّ جبريل - عليه السلام - وقال: راجِعْ حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها زوجتك في الجنة.

وعن قيس بن زيد - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ طلّق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون فبكت وقالت: ما طلّقني عن شبع[3]. فجاء رسول الله ﷺ فتجلببت فقال: قال لي جبريل - عليه السلام - راجع حفصة...[4].

وعن عقبة بن عامر قال: طلَّق رسول الله ﷺ حفصة، فبلغ عمر - رضي الله عنه - ذلك، فحثا التراب على رأسه، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها. فنزل جبريل - عليه السلام - على النبي ﷺ

---

(١) الجوهرة: ٢/ ٦٤؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٣٠.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٨؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٥؛ الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٩.
(٣) وجاء في السمط الثمين، ص٩٧: ما طلقني عن سبع. والسبع: البغض أو العيب والنقص.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٣٠؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٣١؛ السمط الثمين، ص٩٧؛ أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٤٠.

من الغد وقال: إنّ الله يأمرُ أن تراجع حفصة رحمةً بعمر. ثم أراد أن يطلّقها ثانية، فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ لا تطلّقها فإنها صوّامة قوّامة[1].

ودخل عمر على حفصة ـ رضي الله عنهما ـ وهي تبكي، فقال: لعلّ رسول الله ﷺ قد طلَّقك، إنه قد طلَّقك مرةً ثم راجعكِ من أجلي، فإنْ طلقكِ مرة أخرى لا أكلمك أبداً[2].

وعن أبي مليكة: أنّ النبي ﷺ طلَّق حفصة، فجزع عمر وهلع وقال: لو كان لله من آل عمر حاجة ما طلَّق رسول الله ﷺ حفصة، فلما قام رسول الله ﷺ من القبلة رجع حتى أتى بيت حفصة فقال: إنّ جبريل عَرض عليَّ من القبلة فقال: راجع حفصة فإنها صؤوم قؤوم، وإنها زوجك في الجنة[3].

وجاء في السمط الثمين[4]: «عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ

---

(١) أُسد الغابة: ٥/ ٤٢٦؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٩؛ الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٦٩؛ عيون الأثر: ٢/ ٣٨٠؛ السمط الثمين، ص٩٨.

(٢) الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ أسد الغابة: ٥/ ٤٢٦؛ الفتح الرباني: ٢٢/ ١٣١.

(٣) أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، ص٥٨.

(٤) السمط الثمين، ص٩٨.

طلّق حفصة ـ رضي الله عنها ـ فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون. . . وعن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ قال: أراد رسول الله ﷺ أن يطلّق حفصة فجاء جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: لا تطلّقها فإنها صوّامة قوّامة. . . خرجهما أبو عمر وصاحب الصفوة. ويمكن الجمع بينهما أن يكون النبي ﷺ أراد الطلاق وهمَّ به فظنَّته حفصة والناس، ثم أُمِرَ بالترك، فظُنَّ أنّه أمْرٌ بالمراجعة أو أطلق عليه رَجْعة لوجود حقيقتها إذ هي عبارة عن عود إلى مكان أو قول».

وقيل[1]: كان رسول الله ﷺ قد هَمَّ بطلاقها حتى ذكر ذلك فنزل جبريل عليه وأمره بمراجعتها.

وخبر جبريل ـ عليه السلام ـ حيث طلب من الرسول ﷺ أن يراجع حفصة ـ رضي الله عنها ـ وألا يطلقها، وقال: إنها صوّامة قوّامة، يدل هذا الخبر على منزلة حفصة ـ رضي الله عنها ـ عند الله، حتى إن جبريل ـ عليه السلام ـ أمين الوحي ينزل بشأنها إلى رسول الله ﷺ ليراجعها. وفي ذلك تكريم لها وتكريم لكل أنثى تتصف بالتزامها بدينها، فالله تعالى سندها وراعيها: والعجب

---

(١) أُسد الغابة: ٥/ ٤٢٥، الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٥.

لا ينقضي من كل الزاعمين بأنَّ الإسلام ظلم المرأة وأهدر كرامتها، وأنَّ هذه الحضارة المعاصرة رفعَتْ من شأنها . .

فوحي السماء ينزل إلى الأرض يطلب من النبي ﷺ أن يراجعها : «إنها صوَّامة قوَّامة، وإنها زوجتك في الجنّة» .

وقالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في حقّها[1] : إنّها ابنة أبيها» تنبيهاً على فضلها ـ رضي الله عنها ـ .

* * *

---

(1) الفتح الرباني : ٢٢/ ١٣١ .



الفَصْل الخامِسُ

صفـاتهـا

١ ـ علمها ـ رضي الله عنها ـ

نودّ أن نتعرّف على بعض ما قدَّمه الإسلام للمرأة.

ففي الوقت الذي كانت فيه كرامة المرأة مهدورة وشخصيتها يتبعها الذل والهوان، فما مِنْ شريعة تُـنْصفها وما من قانونٍ يرفع من شأنها، جاء الإسلام ليقرر المساواة بين الرجل والمرأة في أمور كثيرة. منها[١]:

ـ المساواة في الإنسانية: ففي حين كانت الأمم السابقة قبل الإسلام تهضم شأن المرأة وتعدُّها ضرباً من الأرواح الشريرة، جاء الإسلام ليقرر المساواة الكاملة في الإنسانية بين الرجل والمرأة.

---

(١) انظر: المرأة المسلمة، ص ٢٨ ـ ٤٧.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١]، وقال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»(١).

جاء الإسلام ليقرر أنَّ نفس الرجل والمرأة سواء، يسمو بها الإيمان والأخلاق، ويحطُّ منها الكفر والانحطاط. قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

ـ وقرر الإسلام كذلك المساواة في الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة. فحرَّم وأد البنات خوف العار، كما حرّم قَتْل الصبيان خوف الفقر. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١].

ـ وقرّر الإسلام أيضاً المساوة في الإيمان بالله تعالى والتكاليف الشرعية والجزاء على ذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة: ١/ ١٦٢.

وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. فلكلٍّ أجره على قيامه بما أمر الله تعالى من غير مضاعفة الأجر لأحدهما دون الآخر، وعليه وزره على إقدامه على معصية الله من غير تسجيل الذنب لأحدهما دون الآخر.

ـ كما قرّر الإسلام أيضاً المساواة في التربية والتهذيب، فحضّ على تربية البنات وتهذيبهن كما حضّ على تربية البنين وتهذيبهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقال ﷺ: «مَنْ يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن، كنّ له سِتْراً من النار»[1].

ـ وقرر الإسلام أيضاً المساواة في العلم، فحضَّ على تعليم المرأة مثلما حضّ على تعليم الرجل، فالمرأة مكلّفة بالإيمان بالله تعالى،

---

(١) رواه البخاري الفتح: ١٠/ ٤٤٠؛ كتاب الأدب، ص٧٨.

ومكلّفة بطاعة الله في فعل أمره واجتناب نواهيه، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١]، وهذا يشمل المرأة والرجل على حدٍّ سواء، وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه تعلِّمنا ممّا علمك الله. فقال ﷺ: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن فجاء رسول الله ﷺ فعلَّمهنَّ مما علَّمه الله تعالى»[٢].

ـ والمرأة كالرجل مسؤولة عن قلبها من حيث الإيمان أو النفاق، أو الإخلاص أو الرياء، وعن لسانها من حيث الصدق أو الكذب، وحفظ اللسان أو التهجم على أعراض الناس به. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ـ وقد فرض الله تعالى عقوبات محددة تسمَّى حدوداً على

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: ١/ ٨١، ١٧، باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، المقدمة، ص١٧.

(٢) رواه البخاري، الفتح: ١٣: ٣٠٥؛ ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة.

مَنْ يعتدي على غيره رجلاً كان المعتدي أو امرأة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

ـ وقرر الإسلام حق المرأة في الميراث كالرجل. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وبعد هذه المقدمة نقول: كانت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ حريصة على كسب العلم وتعلُّمه، متمكنة من الكتابة، الأمر الذي سوف نبيّنه. ولا يخفى على عاقل منّا أهمية الكتابة بالنسبة لمتابعة العلم وكسبه لدى المرأة. فهي تنير لها درب المعرفة، وتُجْلي لها طريق الحياة. قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

قال بعض المفسرين[1]: «البيان: الكتابة والخط بالقلم». وعِلْم الكتابة مقرون بعلم القراءة، ولاشك أنّ علم المرأة أمر يفرضه عليها متطلبات الحياة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وأول ما نزل به القرآن الكريم هو الأمر

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ص٦٣٢٣.

بالتعلُّم. قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]. فهذا تنبيه إلـٰهي يُنَوِّه بقيمة العلم، ودعوة إلى مجاوزة الأميَّة، والسمو بالمتعلمين حتى يرقى بهم إلى أعلى الدرجات. وقد أعزَّ الله العلماء ورفع من شأنهم. قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد نوَّه ﷺ بأهمية العلم. قال ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر لأن تَغْدُوَ فتتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مئة ركعة»[١].

والمرأة العالمة خير من المرأة الجاهلة، فجهلها يضرّ بنفسها وبأولادها وبمجتمعها. لذلك حثّ الإسلام على تعليم المرأة كما حثَّ على تعليم الرجل. قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٢]. ولفظ مسلم كما يقول العلماء يشمل الرجل والمرأة معاً[٣].

وفي تاريخنا الإسلامي الزاهر نماذج كثيرة من النساء الفقيهات العالمات اللواتي تَبَحَّرْنَ في طلب العلم وتابعن الأخذ من موارده.

---

(١) رواه ابن ماجه: ١/ ٧٨؛ المقدمة ١٦ باب فضل مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه.

(٢) رواه ابن ماجه: ١/ ٨١؛ المقدمة ١٧، باب فضل العلماء.

(٣) المرأة المسلمة، ص٣٦.

وإذا تأملنا في حياة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ لوجدناها تفوق رجال عصرها في علوم الفقه والطب والتفسير والشعر وغيره. حتى إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا إذا استشكل عليهم أمر رجعوا إليها فوجدوا عندها من ذلك علماً.

قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[1].

وغير عائشة ـ رضي الله عنهن ـ كثير، أمثال: أم سلمة وأم سُليم بنت ملحان، وزينب بنت جحش وسواهن.

وهذه العلوم وغيرها من علوم المعرفة لاشك أنّ اكتسابها يحتاج إلى تعلم الكتابة والقراءة. فما على المرأة المسلمة اليوم إلا أن تسعى جاهدة لطلب العلم واكتسابه لتدفع عنها شبح الجهل والظلام، ولتنير لأولادها درب الحياة. وفي الحديث «احرص على ما ينفعك»[2].

ولقد حرص رسول الله ﷺ على تعليم السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ الكتابة ونَقْل هذا الخير لها. قالت الشفاء بنت عبد الله:

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٧٩.
(٢) رواه أحمد في المسند: ٢/ ٣٦٦.

دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا قاعدة عند حفصة، فقال: «ما عليك أن تعلِّمي هذه ـ يعني حفصة ـ رقية النملة كما عَلَّمتها الكتابة»[1]، وفي الحديث دليل على أهمية تعلم النساء الكتابة. وقال الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في المنتقى: «في الحديث دليل على جواز تعلم النساء الكتابة». وقال الخطابي: «فيه دليل على أنَّ تعلُّم النساء الكتابة غير مكروه». وجاء في (زاد المعاد): «في الحديث دليل على جواز تعلم النساء الكتابة».

وقد استدل بعضهم على عدم جواز تعلم الكتابة بروايات ضعيفة واهية منها: ما أخرجه ابن حبّان في الضعفاء: أنبأنا محمد بن عمرو، أنبأنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن زكريا ابن يزيد الدقاق، حدثنا محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الشامي، حدَّثنا شعيب بن إسحاق الدمشقي عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسكنوهن الغرف ولا تعلمونهنَّ الكتابة». وفي سند هذا الحديث محمد بن إبراهيم مُنكر الحديث ومن الوضَّاعين. قال الذهبي: قال الدارقطني: إنه كذَّاب. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.

---

(١) الإصابة: ٤/ ٣٤٢؛ الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة: ١/ ٢٦.

وقال ابن حبان: لا يحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار، كان يضع الحديث. وروى عن شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً. . . . . ولا تعلمونهن الكتابة»[1].

وكانت الشفاء بنت عبد الله[2] ترقي من النملة. فأراد رسول الله ﷺ هذا الخير لحفصة - رضي الله عنها - فقال ﷺ للشفاء: «ارقي بها وعَلِّميها حفصة»[3].

ورقية النملة الواردة في هذا الحديث لفظ مُشْكِل يحتاج منَّا إلى وقفات لينجلي المقصود من هذا التوجيه الكريم. وسوف نتتبع أقوال العلماء في ذلك.

القول الأول: «رقية النملة هي: قروح تخرج في الجنب أو الجنبين[4]. فأراد رسول الله ﷺ لحفصة - رضي الله عنها - هذا

---

(١) عون المعبود: ١٠/ ٣٧٦.

(٢) الشفاء بنت عبد الله قرشية عدوية، أسلمت قبل الهجرة وبايعت رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يزورها في بيتها. وكان عمر - رضي الله عنه - يقدّمها في الرأي ويرضاها ويفضّلها وربما ولاّها شيئاً من أموال الشرق. عون المعبود: ١٠/ ٣٧٧.

(٣) الإصابة: ٤/ ٣٤٢؛ الاستيعاب: ٤/ ٣٤١؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٤.

(٤) عون المعبود: ١٠/ ٣٧٣؛ النهاية: ٥/ ١٢٠.

الخير فأمر الشفاء أن تعلمها إياه لإبراء ذوات القروح».

القول الثاني: «رقية النملة كلام كانت نساء العرب تستعمله، يعلم كلُّ مَنْ سمعه أنّه كلام لا يضرُّ ولاينفع. وهذا من لغز الكلام ومزاحه. كقوله للعجوز: لا تدخل العجز الجنة. ورقية النملة التي كانت تُعرف بينهنّ أن يقال للعروس: تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفعله غير أن لا تعصيَ الرجل. فأراد النبي ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة ـ رضي الله عنها ـ والتأديب لها، تعريضاً لأنه ألقى إليها سراً فأفْشته على ماشهِد به التنزيلُ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا . . . ﴾ [التحريم: ٣]»[١]، وذلك كما مرَّ بنا في بحثنا عن زواجها بالرسول ﷺ.

وممّا يجدر ذكره في صفاتها ـ رضي الله عنها ـ عنايتها بالجانب العبادي واجتهادها في تحصيل الطاعات. فقد ذكروا حرصها على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان. فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكفَ العشر الأواخر من رمضان. فاستأذنته السيدة عائشة فأذن لها. فأمرت ببنائها فَضُرِب. وسألت

---

(١) عون المعبود: ١٠/ ٣٧٦؛ النهاية: ٥/ ١٢٠.

حفصةُ عائشةَ ـ رضي الله عنهما ـ أن تستأذن لها رسول الله ﷺ ففعلَتْ. فأمرت ببنائها فضُرب. فلما رأتْ السيدةُ زينب ـ رضي الله عنها ـ أمرت ببنائها فضُرب. وكان رسول الله ﷺ إذا صلّى انصرف فبَصُر بالأبنية. فقال: «ما هذه»؟ قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب ـ رضي الله عنهن ـ فقال: «البرَّ أرَدْتُنَّ بهذا. ما أنـا بمعتكف، فرجع. فلما أفطر اعتكف عشر شوّال»[1].

ولقد مَنَّ الله تعالى على السـيدة حفصـة ـ رضي الله عنها ـ بالعيش مع رسوله ﷺ ردحاً من الزمن تَعُبُّ من معينه الذي لا ينضب ممّا جعلها تحاوره وتسائله وتفيد منه من خلال سؤالها له. فهاهي تجادل رسول الله ﷺ وتبادره القول بلفظ «بلى» عندما خطر ببالها بعض الاستفسارات.

روى ابن سعد[2] في حديث الحديبية وبيعة الرضوان: أنّ رسول الله ﷺ ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت شجرة الحديبية. فقال: «لا يدخل النارَ إنْ شاء الله أصحابُ الشجرة الذين بايعوا تحتها» فقالت حفصة ـ رضي الله عنها ـ بلى يا رسول الله.

---

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٨٣١؛ مسند الإمام أحمد: ٦/ ٨٤.
(٢) الطبقات الكبرى: ٢/ ٧٣؛ صحيح مسلم: ٤/ ١٩٤٢؛ المسند: ٦/ ٢٨٥.

فانتهرها رسول الله ﷺ. فقالت الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: «قال الله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

فهي أولاً لم تدرك وجه الجمع بين الحديث والآية. ففي حديث رسول الله ﷺ أنّ أولئك النفر ممَّنْ بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان قومٌ اصطفاهم الله بفضله فلن يدخلهم النار لِما لهم من سابقة وخدمة للدعوة في أصعب مواقفها. وفي الآية الكريمة توجيه بأنّ ورود النار أمرٌ حَتْم على كل إنسانٍ. فبيّن لها رسول الله ﷺ الجواب بالقرآن نفسه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

وتتبوأ السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ منزلة عالية من العلم والمعرفة، ممّا جعلها من ذوات الرأي والمشورة، فها هو عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يمشي ليلاً ليتفقد أحوال الرعية، إذ يسمع امرأةً تقول:

تطاول هذا الليلُ واسودَّ جانبُه ... وأرَّقني أن لا حبيبَ أداعبُه
فلولا حِذارُ الله لاشيء مثله ... لزعزع من هذا السرير جوانبُه

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: مالك؟

قالت: أَغرَبْتَ زوجي منذ أشهر وقد اشتقت إليه.

قال: أرَدتِ سوءاً؟

قالت: معاذ الله.

قال: فاملكي عليك نفسك فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه؛ ثم دخل على حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقال: إني سائلكِ عن أمرٍ قد أهمَّني فأفرجيه عني. في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت حفصة ـ رضي الله عنها ـ رأسها واستحيَتْ. فقال: إن الله لا يستحي من الحق. فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر. فكتب عمر ـ رضي الله عنه ـ أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[(١)].

وجاء في مناقب عمر[(٢)] ـ رضي الله عنه ـ فقالت حفصة ـ رضي الله عنها ـ: في ستة أشهر. فكان لا يُغْزي جيشاً له أكثر من ستة أشهر.

ولقد اكتفت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بالإشارة دون القول عن سؤال أبيها لها. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلّ على أدب نساء النبي ﷺ وحيائهن، فالحياء شعبة من شعب الإيمان.

---

(١) المغني: ١٠/ ٢٤٠؛ حياة الصحابة: ١/ ٤٧٥.

(٢) مناقب عمر ـ رضي الله عنه ـ، ص ٨٤.

وكيف لا يكـون هذا وقد تـربَّيْنَ ـ رضي الله عنهن ـ في بيت النبـوة ونَهَلْنَ من معينهﷺ وتخرَّجنَ في مدرسته؟

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يكلِّفها برعاية أملاكه والإشراف عليها. فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ عمر أصابَ أرضاً بخيبر فأتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ما أَصَبْتُ مالاً أنفسَ منه عندي فما تأمر؟. فقال ﷺ: «إن شئتَ تصدَّقْتَ بها وحبست أصلها». فجعلها عمر ـ رضي الله عنه ـ صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث وتَصَدَّق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل والغزاة في سبيل الله والضعيف وفي الرقاب. لا جُناح على مَنْ وَلِيها أن يأكل منها ويُطعم صديقاً غير متمولٍ مالاً. قال: وأوصى بها لمتابعة أمر هذه الأملاك إلى حفصة أم المؤمنين، ثم إلى الأكابر فالأكابر من ولده[1].

وعُرِفت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بالعلم والرأي. وقد ورد ذكرها في المصنفات الفقهية الكبيرة في مجال الفتاوى العلمية التي تُنسب إليها، وهذا يدل على أنها كانت من المعدودات في

---

(١) البلاذري في أنساب الأشراف، ص١٤٨؛ الرياض النضرة: ٢/ ٣٦٤.

الفقيهات من جيل الصحابة - رضي الله عنهم - وسوف نعرض لطائفة من هذه الآراء والأقوال:

١ - مذهب الفقهاء في حكم الساحر المسلم[1]:

ذهب الإمام مالك - رضي الله عنه - إلى أنّ المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يُقتل ولا يُستتاب ولا تُقبل توبته. وهو قول أحمد وأبي ثور والشافعي وأبي حنيفة - رضي الله عنهم - ورُوي قتل الساحر عن عثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن أسعد وعن سبعة من التابعين - رضي الله عنهم -.

وروي عن الشافعي: لا يُقتل الساحر إلا أن يَقْتل بسحره ويقول: تعمَّدْتُ القتلَ. وإن قال: لم أتعمَّد لم يقتل، وكانت فيه الدية كقتل الخطأ، وإنْ أضرَّ به أُدِّب على قدر الضرر.

٢ - يصح وقف الحليّ لِلبس والعارية لما روى نافع قال: ابتاعت حفصة حُلِيّاً بعشرين ألفاً فحبَّسَتْه على نساء آل الخطاب، فكانت لا تُخرج زكاته. ولأنه عينٌ يمكن الانتفاع بها مع بقائها دائماً فصحَّ وقفها كالعقار، ولأنه يصح تحبيس أصلها وتسبيل الثمرة،

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٤٣٨.

فصحَّ وقفها كالعقار.

وبهذا قال الشافعي. وقد رُويَ عن أحمد أنه لا يصح وقفها. قال ابن قدامة: والأول هو المذهب لما ذكرناه، والتّحلي من المقاصد المهمة والعادة جارية به، وقد اعتبره الشرع في إسقاط الزكاة عن متَّخذه. وجوّز إجارته لذلك ويفارق الدراهم والدنانير، فإن العادة لم تَجر بالتحلي به ولا اعتبره الشرع في إسقاط زكاته[1].

٣ ـ ويَنظُر في الوقف مَنْ شَرَطَه الواقفُ، لأنّ عمر ـ رضي الله عنه ـ جعل وقفه إلى حفصة ـ رضي الله عنها ـ تليه ما عاشت، ثم إلى ذوي الرأي من أهلها. ولأنَّ مَصْرف الوقفِ يُتبَع فيه شرطُ الواقف فكذلك الناظر فيه[2].

٤ ـ تصح الوصية إلى الرجل العاقل المسلم الحرّ العدل إجماعاً ولا تصح إلى مجنون ولا طفل، ولا وصيةُ مسلم إلى كافر؛ لأنَّ المجنون والطفل ليسا من أهل التصرف في أموالهما فلا يَلِيان على غيرهما. والكافر ليس من أهل الولاية على مسلم. وتصح

---

(١) المغني: ٨/ ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق: ٨/ ٢٣٦.

الوصية إلى المرأة في قول أكثر أهل العلم. وبه قال شُريح ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي. واحتج هؤلاء بما رُوي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ بأنه أوصى إلى حفصة بأن تلي أملاكه ماعاشت، ثم يليه ذوو الرأي من أهلها. ولا يُباع ولا يُشترى. يُنفقه حيث رأى من السائل والمحروم وذوي القربى، ولأنها من أهل الشهادة فأشبهت الرجل. قال ابن قدامة: فيه دليل على تخصيص حفصة ـ رضي الله عنها ـ دون إخوتها وأخواتها[1].

٥ ـ إذا قال سُكْنى هذه الدار لك عُمْرَكَ فليس ذلك بعقدٍ لازم لأنه في التحقيق هبة المنافع، والمنافع إنما تُستوفى بمضي الزمان شيئاً فشيئاً، فلا تلزم إلا في قَدْر ما قبضه منها واستوفاه بالسُكنى. وللمُسْكِن الرجوع متى شاء، وأيهما مات بطلت الإباحة، وبهذا قال أكثر العلماء منهم الشعبي والنخعي والثوري والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي. وروي معنى ذلك عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ.

وقال الحسن وعطاء وقتادة: هي كالعُمرىٰ تكون له ولعقبه[2].

٦ ـ استدل الفقهاء على أنّ لفظ الأيـامى يُطلق على الرجال

---

(١) المغني: ٨/ ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٨/ ٢٨٨.

والنساء الذين لا أزواج لهم، بعبارة سعيد بن المسيب: «آمَتْ حفصةُ من زوجها، وآم عثمانُ من رقية. ثم قال ابن قدامة: والعُرف يخصّ النساء بهذا الاسم. والحكم للاسم العرفي[1].

٧ ـ إذا قال الرجل: إن فعلتُ كذا فكل مملوكٍ لي حرّ. فإنّ هذا الرجل إذا حنث عَتَق مماليكه ولم تُغْنِ عنه كفارة. روي عن ابن عمر وابن عباس وابن أبي ليلى والثوري ومالك والأوزاعي والليث والشافعي وإسحاق.

وثمة قولٌ ثانٍ روي عن طائفة من الصحابة كعائشة وأبي سلمة وحفصة ـ رضي الله عنهم ـ وقال به من التابعين أبو ثور: تجزئه كفارة يمين لأنها يمين، فتدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾[2] [المائدة: ٨٩].

٨ ـ إذا أخرج النَّذر مخرج اليمين بأن يمنع نفسه أوغيره به شيئاً أو يحثّ به على شيء مثل أن يقول: إن كلمت زيداً فلله علي الحج أو صدقة مالي أو صوم سنة. فهذا يمينٌ حكمُه أنه مخيَّرٌ بين الوفاء

---

(١) المغني: ٨/ ٤٥٣.
(٢) المرجع السابق: ١٣/ ٤٧٩.

بما حلف عليه فلا يلزمه شيء، وبين أن يحنث، فيتخير بين فعل المنذور وبين كفارة يمين. ويسمّى نذر اللجاج والغضب ولا يتعيَّن عليه الوفاء به. وهذا قول عمر وابن عباس وابن عمر وعائشة وحفصة والنخعي والشافعي وأبي ثور.

وقال أبو حنيفة ومالك: يلزمه الوفاء بنذره لأنه نذر فيلزمه الوفاء به[1].

٩ ـ خيار المرأة التي أعتقها سيدها وهي عند زوجٍ عبدٍ يكون على التراخي، فيجوز لها أن تختار البقاء عند زوجها أو فسخ العقد. وهذا الخيار مشروط بعتق زوجها أو وطئه لها. فإن حدث أحد هذين بطل خيارها. وهذا مذهب مالك والأوزاعي وعبد الله بن عمر وحفصة وسليمان بن يسار والزهري وقتادة.

وقال أبو حنيفة: لها الخيار في مجلس العلم فقط.

وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة أنّ مولاةً لبني عدي يُقال لها زَبراء أخبرته أنها كانت تحت عبدٍ فعُتِقَتْ. قالت: فأرسلتُ إلى حفصة فَدَعَتْني فقالت: إنّ أمركِ بيدك مالم يَمسَّكِ زوجك، فإنْ

---

(١) المغني: ١٣/ ٤٦٢.

مَسَّكِ فليس لك من الأمر شيء. فقلت: هو الطلاق ففارَقْتُه ثلاثاً[١].

١٠ ـ في مسألة الرضاع وقد ثبتت في الكتاب والسنة. فمن المحرَّمات ما نصَّتْ عليه الآية: ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣]. ولكن اختلف الفقهاء في عدد الرَّضعات. فقال بعضهم: الذي يتعلق به التحريم خمس رضعاتٍ فصاعداً. وروي عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ: لا يُحَرِّمُ دونَ عشر رضعات، وروي ذلك عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وجاء في حديث سهلة بنت سهيل: فقال لها رسول الله ﷺ فيما بلغنا: أرضعيه عشر رضعاتٍ فيُحَرَّم بلبنها[٢].

١١ ـ وقد يحدث أن يُكاتب السيدُ عبدَه أو أَمَتَه على مدَّة معلومة، فأُدِّيت الكتابة فقد صار العبدُ حُراً. ولا يكون العتق قبل أداء جميع الكتابة. ومِمَّنْ أجاز الكتابة على العبيد: الحسن وسعيد ابن جبير والنخعي والزهري وابن سيرين ومالك وأصحاب الرأي

---

(١) المغني: ١٠/ ٧١.
(٢) المرجع السابق: ١١/ ٣١١.

وحفصة ـ رضي الله عنها ـ[1].

١٢ ـ وقَتْلُ المرتد ـ الحر أو العبد ـ يقوم به الإمامُ. وهذا قول عامة أهل العلم إلا الشافعي في أحد الوجهين في العبد فإن لسيده قَتْله لقول النبي ﷺ: «أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم»، ولأنّ حفصة ـ رضي الله عنها ـ قتلت جاريةً سحرتها[2].

١٣ ـ احتج العلماء مِمَّنْ أوجب القضاء لَمنْ أفطر في صيام التطوع بما رويَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أصبحت أنا وحفصة صائمتين فأهدي لنا حَيْس ـ وهو تمر يُخلط بسمن وأَقِط ـ فأَفطرنا ثم سألنا رسول الله ﷺ فقال: «اقضيا يوماً مكانه»[3].

وكان بيت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ يشهد بين الفينة والأخرى مراجعات الصحابة لرسول الله ﷺ وسؤالهم له عن مسائل الفقه والعلم: فها هو ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: كنتُ أبيعُ

---

(١) المغني: ١٤/ ٤٥٥.
(٢) المغني: ١٢/ ٢٧١؛ المصنف: ١٠/ ١٨٠؛ البيهقي في السنن الكبرى: ٨/ ١٣٦.
(٣) المغني: ٤/ ٤١٠.

الإبل بالبقيع، فأبيعُ بالدنانير وآخذ الدراهم. فأتيت النبي ﷺ في بيت حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس أن تأخذها بسعر يومها مالم تفترقا وبينكما شيء»[1].

* * *

(١) المغني: ٦/١٠٧.

٢ ـ حديثها ـ رضي الله عنها ـ

روت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ وعن عمر بن الخطاب ستين حديثاً. اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة. وانفرد مسلم بستة. وفي رواية: أخرج لها منها في الصحيحين عشرة، المتفق عليه منها أربعة ولمسلم ستة.

روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين كأخيها عبد الله وابنه حمزة وزوجته صفية بنت أبي عبيد، وحارثة بن وهب والمطلب بن أبي وداعة وأم مُبَشر الأنصارية وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن صفوان بن أمية والمسيب بن رافع وسوار الخزاعي وشتير بن مشكل، والعبسي أبي عيسى الكوفي ثقة من الطبقة الثالثة أخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن وطائفة(١).

مسندها في كتاب بَقِي بن مَخْلد ستون حديثاً(٢).

* * *

---

(١) أسد الغابة: ٥/ ٤٢٦؛ الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ أعلام النساء: ١/ ٢٧٥؛ الكاشف: ٢/ ٥٠٥؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٣٠؛ وانظر: الفتح الرباني: ٢٢/ ١٣١.

٣ ـ فصاحتها وبلاغتها :

ذكر المؤرخون أن السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ ذات فصاحة وبلاغة[١] ويتضح من النصوص التي تركتها أنها متألقة في هذا الجانب تألقاً عالياً، حتى إنه ليصح لنا أن نعدَّها في طبقة النساء الفصيحات اللواتي تميزن في عصر صدر الإسلام. ونستطيع أن نثبت للقارىء الكريم بعض نصوصها النثرية :

قالت في مرض أبيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[٢] :

«يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على ربّ رحيم، ولاتَبِعَةَ لأحدٍ عندك. ومعي لك من البشارة لا أُذيع السِّرَّ مرتين، ونِعْم الشفيع لك العدل، لم تَخْفَ على الله خشنة عيشتك وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض» .

وقد خطبت حفصة ـ رضي الله عنها بعد مقتل أبيها فقالت :

---

(١) أعلام النساء : ١/ ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

«الحمد لله الذي لا نظير له. والفَرْدِ الذي لا شريك له.

أما بعد؛ فكل العجب من قوم زيَّن الشيطانُ أفعالهم وارعوى إلى صنيعهم، ورَبَّ في الفتنة لهم. ونصب حبائله لختْلهم حتى همَّ عدوُّ الله بإحياء البدعة، ونَبْش الفتنة، وتجديدِ الجوْر بعد دروسِه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقـةِ الدماء وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها، فأَضْرى وهاجَ وتوغَّر وثار غضباً لله ونصرةً لدين الله، فأخسأ الشيطان، وَوَقَمَ كبده، وكفف إرادته، وقَدَعَ محنته، وأصْعَرَ خدّه لسبْقه إلى مشايعة أَوْلى الناس بخلافة رسول الله ﷺ، الماضي على سننه، المقتدي بدينه، المقتصّ لأثره، فلم يَزَلْ سراجهُ زاهراً، وضوءُه لامعاً، ونورُه ساطعاً، له من الأفعال الغُرَرُ، ومن الآراء المُصاص[1]، ومن التقدُّم في طاعة الله اللُّباب، إلى أن قبضه الله إليه، قالياً لما خرج منه، شانئاً لما ترك من أمره، شيّقاً لمَنْ كان فيه، صَبّاً إلى ما صار إليه، وائلاً إلى ما دُعي إليه، عاشقاً لما هو فيه.

فلما صار إلى التي وصَفْتُ، وعاينَ لما ذكرْتُ أَوْمَأَ بها إلى أخيه في المعدلة، ونظيره في السيرة، وشقيقه في الديانة، ولو كان

---

(١) المصاص: خالص كل شيء.

غيرَ الله أرادَ لأمالها إلى ابنه ولصيَّرها في عقبه، ولم يُخْرِجها من ذريته، فأخذها بحقها، وقام فيها بقسطها، لم يَؤُدْه ثِقَلُها، ولم يَبْهَظْه[1] حِفْظُها، مشرِّداً للكفر عن موطنه، ونافراً له عن وَكْره، ومثيراً له في مجثمه، حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد، ونصر الله بقدمه، وملائكتُه تكنفه، وهو بالله معتصم وعليه متوكل حتى تأكدت عُرا الحق عليكم عقداً، واضمحلَّتْ عُرا الباطل عنكم حَلاًّ.

نوره في الدجنَّات ساطع، وضوءُه في الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانئاً لها إذ سبرها، تخطبه ويَقْلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا تبغي سواه نِحْلاً. أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها صُوَراً، وأَدْوم منها سروراً، وأَبْقَى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأَغْدق منها أرضاً، وأَنْعَتُ منها جمالاً، وأتمّ منها بُلَهْنِيَة[2]، وأَعْذَبُ منها رُفَهْنِيَةً، فَبَشِعَتْ[3] نفسه بذلك لعادتها، واقشعرَّتْ منها لمخالفتها،

---

(١) بهظني الأمر: أثقلني.

(٢) البلهنية والرفهنية: رغد العيش.

(٣) بَشِعَ بالأمر: ضاق به.

فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت، فأقام فيها دعائم الإسلام وقواعد السنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية، وأعلام أخبار النبوة الطاهرة، وظلَّ خميصاً من بهجتها، قالياً لأثاثها، لا يرغب في زِبْرِجها[1]، ولا تطمح نفسه إلى جِدَّتها، حتى دُعِي فأجاب، ونودي فأطاع على تلك من الحال، فاحتذى في الناس بأخيه فأخرَجَها مِنْ نَسْله، وصَيَّرها شورى بين إخوته، فبأيِّ أفعاله تتعلقون، وبأيِّ مذاهبه تتمسَّكون؟ أبطرائقِه القويمة في حياته، أم بعَدْلِه فيكم عند وفاته؟ ألهَمَنا الله وإياكم طاعته»[2].

وإذا تأملنا هذه النصوص لمعرفة خصائصهاالأسلوبية تبّين لنا أنها تتميز بمايلي:

١ ـ عنايتها بالجملة القصيرة:

يبدو أن النصوص السابقة قالتها في معرض خطبة لها، وفن الخطابة يناسبه الجملة القصيرة والابتعاد عن الجمل المعترضة، ومن أمثلة ذلك: فكل العجب من قوم زيَّن الشيطان أفعالهم، وارعوى إلى

---

(١) الزبرج: الذهب.

(٢) أعلام النساء: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

صنيعهم، ورَبَّ في الفتنة لهم، ونصب حبائله لختلهم، حتى همّ عدو الله بإحيـاء البدعة، ونبـش الفتنـة، وتجديد الجوْر بعد دروسـه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله بعد تحصينها، فأضرى وهاج وتوغّر وثار غضباً لله، ونصرة لدين الله، فأخسا الشيطان، ووقم كبده، وكفف إرادته، وقدع محنته، وأصعر خده.

والواقع أن جمهـور الجمل التي تعتمدهـا السـيدة حفصـة ـ رضي الله عنها ـ في التعبير هو الجمل القصيرة المناسبة كما قلنا لفن الخطابة، فسرعان مايلي الفعل فاعله فمفعوله، وسرعان مايلي المبتدأ خبره، والمعطوفُ المعطوفَ عليه، وسرعان مايتعلق الجار والمجرور بعامله، أما خلاف ذلك فيناسب فن التأليف حيث يواجه الأديب جمهـوره عبر الكتاب، فيكـون ثمة مجال لتـأمل العبـارة وارتباطها بمعانيها العائدة إليها، واختيار الأسلوب المناسب في المكان المناسب من البلاغة والفصاحة بمكان.

٢ ـ اختيار اللفظ:

ومن خصائص أسلوبها التعبيري عناية السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ باختيار اللفظ المعبر الذي يحمل معاني واسعة فهي قد

أرادت أن تشير إلى تميز فترة خلافة والدها عمر ـ رضي الله عنه ـ بالأحكام الراشدة الموفقة، فاختارت أن تصف هذا بقولها: «له من الأفعال الغُرر»، كما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ عُرِف بالرأي الحصيف المستوعب فوصفته بقولها: «ومن الأراء المُصاص».

أما موقفه من طاعة الله فحددت ذلك بقولها: «ومن التقدم في طاعة الله اللباب».

وأرادت أن تعبّر عن تيارَيْن كبيرين يصطرعان في حياته، وهما الإخلاد إلى الدنيا ومباهجها وزخارفها، والنفس اللوامة التي تجعله يرفض متاع الدنيا ومتعلقاتها فتقول: «تخطبُه ويقْلاها، وتريده ويأباها».

ومضت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ تصور صراعَهُ مع الشيطان وكيف أنه خرج منتصراً في هذه المعركة فتقول: «فأخسأ الشيطان، ووقم كبده، وكفف إرادته، وقدع محنته، وأصعَر خدّه».

وشأن الفصيح البليغ أن يُعنى باختيار ألفاظه المعبرة عن دلالات واسعة من المعاني.

٣ـ استخدام أشكال التعبير المختلفة :

على عادة البلغاء تمضي السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ في استخدام أشكال التعبير البلاغية المختلفة، وتنتقل من الإيجاز إلى الاطناب، فلكل مقام ما يناسبه، ومن نماذج إيجازها أنها وصفَتْ أباها بقولها «له من الأفعال الغرر، ومن الأراء المُصاص، ومن التقدم في طاعة الله اللباب».

وأرادت أن تعبّر عن رغبته في أن يكون اختيار الخليفة من بعده عن طريق الشورى، كما فعل أبوبكر، فقالت: «فاقتدى في الناس بأخيه فأخرجها من نسله، وصيَّرها شورى بين إخوته».

وأما في مقام الإطناب والتفصيل فالنماذج كثيرة لأنها مولعة بالجمل المترادفة التي تدور حول معنى واحد لترسيخه في الأذهان. تقول ـ رضي الله عنها ـ: «نوره في الدُّجُنَّات ساطع، وضوءُه في الظلمات لامع، قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عجمها، وشانئاً لها إذ سبرها، تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لاتطلب سواه بعلاً، ولا تبغي سواه نحلاً، أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها صُوراً، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأغدق منها أرضاً، وأنعت منها جمالاً، وأتم منها

بُلَهْنِيَة، وأعذب منها رُفَهْنِيَة».

وتقول ـ رضي الله عنها ـ: «وظلَّ خميصاًمن بهجتها، قالياً لأثاثها لا يرغب في زِبْرِجها، ولا تطمح نفسه إلى جِدَّتها»

وتقول: «فأضرى وهاجَ وتوغَّر وثار غضباًلله ونصرةً لدين الله، فأخسأ الشيطانَ، وَوَقَم كبده، وكفف إرادته، وقدعَ محنته، وأصعر خده».

كما تعمد السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ إلى المراوحة بين مقامَيْ الجمل الفعلية والجمل الاسمية حسبما ترى السياق مناسباً لأيّ منهما، ففي مقام وصف الله عز وجل تستخدم الوصف بالجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام تقول ـ رضي الله عنها ـ: «الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له».

وفي مقام الاقتداء بمَنْ سبقه ـ رضي الله عنه ـ يلزمها كذلك الجملة الاسمية للتعبير عن الثبوت والدوام تقول: «لسبقه إلى مشايعة أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ الماضي على سننه، المقتدي بدينه، المقتصُّ لأثره». وتصفه بثباته على منهج الله «وهو بالله معتصم وعليه متوكل».

أما في مقام القضاء على نزغات الشيطان التي حاولت أن

تَلْطُم عمر ـ رضي الله عنـه ـ بـأمواجها فيناسـبها الجملـة الفعليـة الماضية، «فأخسأ الشيطانَ، ووقم كبده، وكفف إرادته، وقدع محنته، وأصعر خده». وذلك للتعبير عن أن هذا قد انتهى أمره ولم يَعُدْ له كيان.

وإن كان المقام يحتاج إلى تجديد الفعل واستمراره، وكما يقول البلاغيون: حدوثه، فيأتي الفعل المضارع مناسباً، ومن ذلك قولها: «وملائكته تكنفه». «تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلاً، ولا تبغي سواه نحلاً»، «فبأي أفعاله تتعلَّقون، وبأي مذاهبه تتمسكون؟».

وقد تعتمد الجملة ذات الوجه الواحد، فتبدأ باسم وتنتهي باسـم من مثل «نوره في الدجنـات ساطع، وضوءه في الظلمات لامع».

وما أجمل انتقـالها من أسـلوب التعبير بالاسـم دلالـة على الثبوت إلى أسلوب التعبير بالفعل دلالة على نفي الحدوث، قالت ـ رضي الله عنها ـ: «وظل خميصاً من بهجتها، قالياً لأثاثها، لا يرغب في زبرجها، ولاتطمح نفسه إلى جدتها».

٤ ـ اعتماد الأسلوب الخبري :

تكثر السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ من الأسلوب الخبري الذي يسميه أهل الفن البلاغي بالابتدائي، حيث تسوق أحكامها بصيغة الخبر الذي لا يتردد في قبول الحكم ولا يُنْكَر. تقول ـ رضي الله عنها ـ :

ـ فاقتدى في الناس بأخيه، فأخرجها من نسله، وصيَّرها شورى بين إخوته.

ـ حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد، ونصر الله بقدمه.

ـ حتى تأكدت عُرا الحق عليكم عَقْداً، واضمحلت عُرا الباطل عنكم حلاًّ.

ـ قوم زَيَّن الشيطان أفعالهم، وارعوى إلى صنيعهم، ورَبَّ في الفتنة لهم، ونصب حبائله لختلهم.

وقد تستخدم ـ على ندرة ـ بعض أساليب التأكيد، من مثل: «أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً».

٥ ـ أسلوب الاستعارة التصريحية :

لا تورد السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ معانيها على طريقة التقرير الخالي من فنون القول البلاغية التي أولع بها الفصحاء البلغاء، وكانت الاستعارة التصريحية التي حُذِف منها المشبَّه وصُرّح بالمشبّه به جارية في نصوصها كثيراً، فأحكام الإسلام كالدعامة وأقامها عمر.

وما تركه سلفه كالجبال الراسية التي عُني بشأنها عمر، قالت ـ رضي الله عنها ـ «فأقام فيها دعائم الإسلام. ورواسي الآثار الماضية»

وإذا كان قلب عمر خالياً من لُعاعة الدنيا وبهرجها فهو كالجائع منها، قالت: «وظل خميصاً من بهجتها، لا يرغب في زِبْرِجها».

والدنيا تجري في إثر عمر ـ رضي الله عنه ـ كما تجري الزوجة في إثر بعلها لا تطلب سواه بعلاً.

وهو يريد الجنة التي هي كالفتاة التي يحلو له خطبتها، قالت ـ رضي الله عنها ـ: «أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً»

٦ ـ استخدام أشكال البديع المناسبة :

ويعد الطباق سمة من سمات أسلوب السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ التعبيري، لأن إيراد الشيء وضده يُجلي الصورة المطلوبة :

ـ فالدنيا تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها .

ـ حتى تأكدت عُرا الحق عليكم عقداً، واضمحلَّتْ عرا الباطل عنكم حلاً .

ـ نوره في الدجنات ساطع، وضوءه في الظلمات لامع .

ـ وانتهاك محارم الله بعد تحصينها .

كما تستخدم الجناس غير المتكلف في قولها : «وأتمَّ منها بُلَهْينة، وأعذب منها رُفَهْنِية» .

وتستخدم السجع الحلو المناسب بين : ساطع ولامع، وبين : عَجَمها وسَبَرها، ويقلاها ويأباها، وبين : بعلاً ونحلاً .

وهذه الأشكال البديعَّية تُحْدِث ضرباً من الموسيقى اللفظية، ليكون للكلمات جَرْس مقبول لدى الأسماع تستحليه .

٧ـ تأثرها بأسلوب القرآن الكريم في التعبير :

لا ريب أنَّ القرآن الكريم أنشأ في أسلوب متلقيه وتاليه والمتعاملين معه ضروباً من التعبير الفني الراقي، فلا عجب أن نلاحظ تأثر البلغاء في جيل الصدر الأول بأساليبه التعبيرية، ومن ذلك قولها ـ رضي الله عنها ـ: «لم يَؤُدْه ثِقَلُها» من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

«مشرداً للكفر عن موطنه» من قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

«فأخسأ الشيطان» من قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

٨ـ التشخيص :

يتميز الأسلوب العربي البليغ بإيراد المعنى المطلوب في سياق حيّ فيجعله بارزاً واضحاً في أذهان متلقيه، فيكون بهذا أكثر تألقاً من إيراده خافِتَ الحركة ساكنها، ومن ذلك قولها: «مشرداً للكفر عن موطنه، ونافراً له عن وَكْره، ومثيراً له من مَجْثمه».

وقولها: «ظل خميصاً من بهجتها، قالياً لأثاثها، لا يرغب في زِبْرِجها».

وقولها: «حتى همّ عدُّو الله بإحيـاء البدعـة، ونَبْـش الفتنة، وتجديد الجور بعد دروسه، وإظهاره بعد دثوره.

ـ فأخسأ الشيطان، ووقم كبده، وأصعر خدَّه.

ـ فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت، وبالرأي الجليد حتى انقادت.

ـ حتى تـأكدت عُـرا الحق عليكم عقـداً، واضمحلَّت عـرا الباطل عنكم حلاًّ».

مما سبق يتبين لنا أننا أمام إحدى البليغات الفصيحات اللواتي تميزن بالبيان الساطع المتألق الذي يجعلها تتبوَّأ درجة عالية في عداد أهل هذا الشأن. ونصوصها السابقة، ومارأيناه في خطبتها يجعلها لاتقل شأناً عن الطبقة الأولى من أهل البلاغة والبيان.

والمقام يتسع للمزيد من الأضواء على بيانها، وكنا نودُّ أن نقف على نصوص أخرى، وفي هذا المقام نقترح على أهل التخصصات

الأدبية أن يكون لهم رسائل علمية مكتوبة على أساسٍ من منهج علمي واضح يبين فيه براعة أمهات المؤمنين بالأدب والبلاغة، ويجمع نصوص رسائلهن وخطبهن وأقوالهن التي تتسم بالبلاغة والبيان.

* * *

٤ ـ رجاحة عقلها

لا شك أن هناك صفات حميدة وأخلاقاً فاضلة تجمع بين أمهات المؤمنين، وذلك لقربهنَّ من رسول الله ﷺ والعيش معه في بيت النبوة ممَّا جعلهنَّ ينهَلْن من ذلك المعين الخصب الذي لا ينضب. فتخرَّج في مدرسته مربِّيات فاضلات ومدرِّسات قديرات كنَّ جديرات بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة. بيد أن كل واحدة منهن اتَّصَفَتْ بصفات وتميزت بخصائص جعلَتْها مميَّزة عن غيرها من أمهات المؤمنين.

وقد اتصفت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ برجاحة عقلها وسداد رأيها، فهي تسعى جاهدة لاجتماع كلمة المسلمين، ولعل ما وقع بينها وبين أخيها عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ بشأن دومة الجندل خير شاهد على ذلك.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما كان اليوم الذي اجتمع فيه عليٌّ ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ بدومة الجندل قالت لي أم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها ـ إنه لا يجمل بك أن

تتخلَّف عن صلحٍ يُصلح الله به بين أمَّة محمد ﷺ أنت صِهْرُ رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب. فأقبل معاوية يومئذٍ على بُختيّ عظيم[1]، فقال: مَنْ يطمع في هذا الأمر ويرجوه أو يمدُّ له عنقه؟ قال ابن عمر: فما حَدَّثْتُ نفسي بالدنيا قبلُ يومئذٍ، ذهبت أن أقول: يطمع فيه مَنْ ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه. فذكرت الجنة ونعيمها فأعرضت عنه[2].

ونقل صاحب «حياة الصحابة» عن الهيثمي أنه أراد صلح الحسن بن علي. والشاهد من هذه الرواية رغبة حفصة في الصلح بين المسلمين واجتماع كلمتهم، وحضُّها أخاها على أن يلتزم هذه السياسة الرشيدة فشجَّعَتْه على أن لا يثير بذور الشقاق بينه وبين معاوية ويسعى سعياً جاداً في عقد أسباب الصلح بين قادة المسلمين. فقالت قولتها العظيمة: إنه لا يجمل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد ﷺ، أنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب.

وآتت هذه السياسة الرشيدة أكلها، فقد تحركت نوازعه

---

(١) نوع من الجِمال.
(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٦١.

للمجاهرة بما في النفوس، وكَيْل الصاع صاعين، وهذا مما يزيد من الإحن والمشاجرات، ولكنه كتم لواعج نفسه وسكت عن مواجهة معاوية ـ رضي الله عنه ـ في هذا الموقف العظيم.

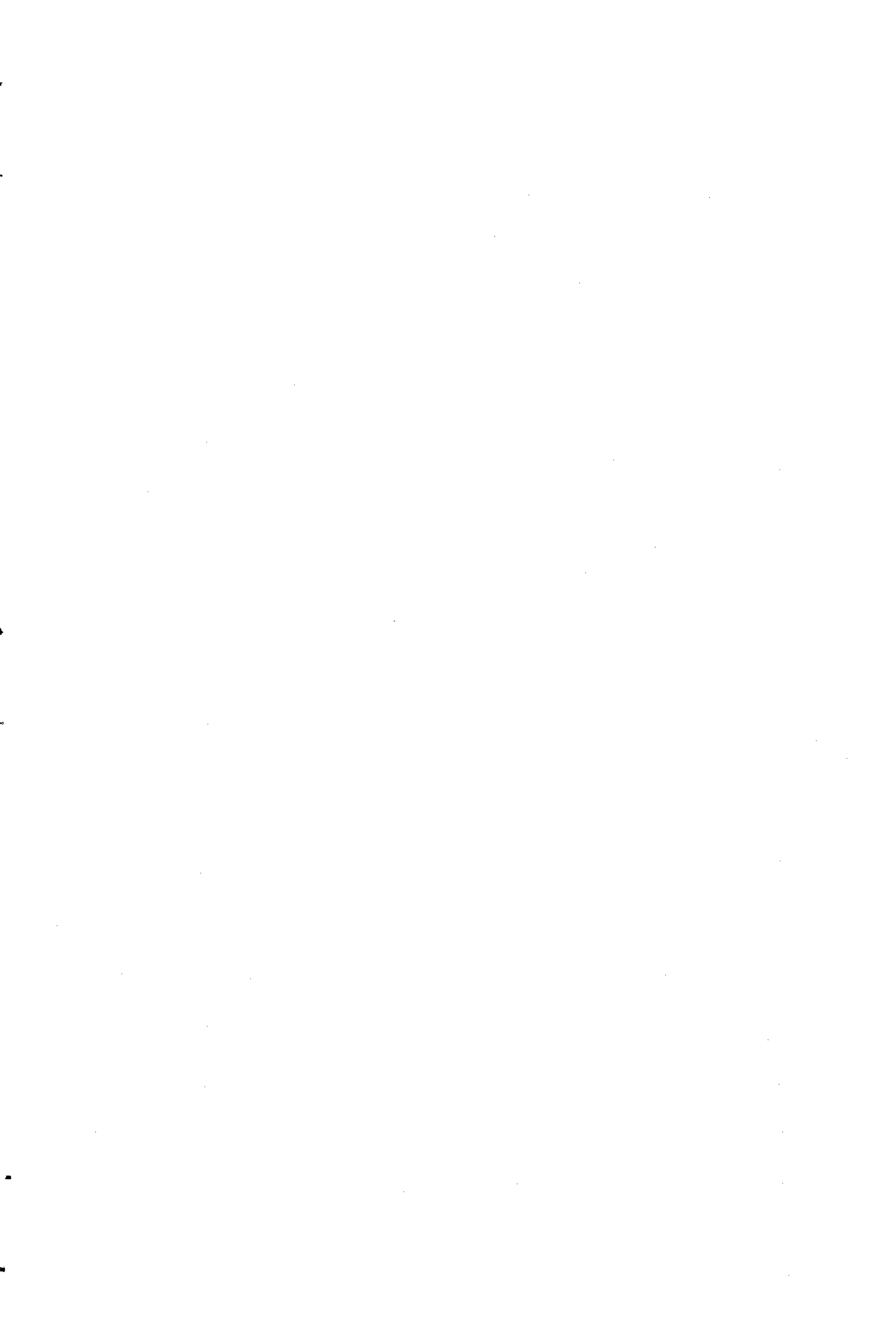
ومن شواهد رجاحة عقلها إدراكها لأهمية الزواج في الإسلام وغاياته العظيمة في بناء الأسرة والذرية الصالحة، فقد أمرت أخاها عبد الله بالزواج عندما عزم على ألاّ يتزوج، مبيِّنة ما يُرجى من وراء الزواج من دعوة الأولاد لأبيهم إن عاشوا بعده، فقد روى الإمام الشافعي عن عمرو بن دينار أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أراد أن لا ينكح فقالت له حفصة ـ رضي الله عنها ـ: تزوَّج فإن وُلِدَ لك فعاش مِنْ بعدك دعا لك[1].

ومرَّ بنا أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ ما كان لينتخبها من بين إخوتها فتكون نائبة عنه في إدارة بعض أملاكه لولا أنه تفرَّس فيها رجاحة العقل وتوقد الذهن.

* * *

---

(١) مسؤولية النساء، د. فضل إلٰهي، ص٤٥، نقلاً عن مسند الإمام الشافعي: ٢/ ١٣.



الفَصْل السَّادِسْ

حوارها مع أبيها رضي الله عنها

لقد عاشت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ ردحاً من الزمن إلى جانب أبيها الخليفة العظيم ـ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ذلك الرجل الفذ الذي عُرِف بالفطنة والكياسة، ثم انتقلت إلى بيت الرسول ﷺ تنهل من مدرسة النبوة علماً ومعرفة، فأشرقت فيها بوادر الفطنة والذكاء فازدادت علماً ومعرفةً ودراية مما جعل والدها يدخل معها في حوارٍ حول قضايا مختلفة. وتُطلعنا مصادر السيرة المختلفة على جوانب من هذا الحوار.

قالت حفصة لعمر ـ رضي الله عنهما ـ يا أمير المؤمنين لو لبستَ ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسّع الله عز وجل من الرزق، وأكثر من الخير. فقال عمر: إني سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من

شدة العيش . . . فما زال يذكّرها حتى أبكاها[1] .

فالبنت ترجو من أبيها أن يتوسع قليلاً في التنعم ، وتُشْفق عليه هذا الزهد الذي يغشاه ، وكل بنت ترجو أن يكون أبوها في رفاهية وسعة من العيش نظراً للحب العميق بين الطرفين . ولكن عمر ـ رضي الله عنه ـ يتبع معها طريقاً في الإقناع ، فيذكِّرها بمعيشة رسول الله ﷺ وما كان عليه من زهد وتقشف ، وما يزال معها ـ رضي الله عنهما ـ يقلب أوجه الحديث حتى أبكاها مِنْ شدة تأثرها بأيامٍ سلفَتْ لها مع رسول الله ﷺ ولمستها بيديها ، وشهدَتها بأم عينها .

ومن هذا القبيل : عُرِف عن عمر ـ رضي الله عنه ـ الزهد في الحياة الدنيا وشظف العيش ، والرضا بالقليل اليسير ، والله تعالى قد بَسَطَ للمسلمين في الرزق ، فلِمَ لا يحاول عمر ـ رضي الله عنه ـ تحسين عيشه وعيش أهله؟ ولكن مَنْ يجرؤ على تكليمه في موضوع كهذا؟ إذن لا بُدَّ من الذهاب للسيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ فإنها أقرب الناس إليه .

---

(١) حياة الصحابة : ٢/ ٣٧١ ؛ طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٧٧ ؛ حلية الأولياء : ١/ ٤٨ ؛ البلاذري ، ص١٧٩ ؛ تاريخ المدينة : ٣/ ٨٠١ .

عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أبى إلا شدَّةً وحصراً على نفسه، فجاء الله بالسَّعة، فأتى المسلمون فدخلوا على حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقالوا لها: أبى عمر ـ رضي الله عنه ـ إلا شدَّةً وحصراً على نفسه، وقد بَسَطَ الله في الرزق، فليبسط في هذا الفيء وما شاء منه فهو في حِلٍّ من جماعة المسلمين. فكأنما قاربتهم في هواهم، فلما انصرفوا مِنْ عندها، دخل عليها عمر ـ رضي الله عنه ـ فأخبرته بقول القوم. فقال عمر: يا حفصة بنت عمر نصحتِ قومك وغششتِ أباك. إنما حقُّ أهلي عليّ في نفسي ومالي، فأما في ديني وأمانتي فلا[1].

وإنما هي النفس العظيمة التي تأخذ بمجامع الورع والتقوى وتأبى أيّ طريق للشبهات.

وجيء إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ بمال، فبلغ ذلك حفصة ـ رضي الله عنها ـ فجاءت فقالت: يا أمير المؤمنين حقّ أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله عز وجل بالأقربين. فقال لها: يا بُنيَّة حقّ أقربائي في مالي. فأما هذا ففيء المسلمين. غششت أباك قومي.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٧٨؛ البلاذري في أنساب الأشراف، ص١٨٠.

فقامت تجرُّ ذيلها[1] .

وحفصة ـ رضي الله عنها ـ في هذا الموقف تمثّل رغبة الفتاة في التوسّع والتّنعم من رفاهية العيش والإفادة من هذا المال الذي هو متاع الحياة الدنيا، ولكنها ما عرفت أن عمر ـ رضي الله عنه ـ في أعلى حصون الورع والخوف من الشبهات، فيوجِّهها أن لا حقَّ له ولأقربائه من مال المسلمين وهو أمين عليه .

ورأى بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حاجة عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى المال ليوسِّع على أهله ويكفيهم مؤونتهم، ولكن مَنْ يجرؤ على تكليمه في ذلك والكل يهابونه. إذن لا بدَّ من الذهاب إلى حفصة ـ رضي الله عنها ـ لتكون رسولهم إليه لما اتصفَتْ به من جرأة في القول، دون ذكر أسمائهم، تكلمه في زيادة دَخْله زيادةً تساعده على تأمين حاجات أهله . . .

عن سالم بن عبد الله قال: لما وُلِّيَ عمر ـ رضي الله عنه ـ قَعَدَ على رِزق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الذي كانوا فرضوا له. فكان بذلك، فاشتدَّت حاجته. فاجتمع نفر من المهاجرين منهم: عثمان

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٢٣٨ .

وعلي وطلحة والزبير ـ رضي الله عنهم ـ فقال الزبير : لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إياه في رزقه . فقال علي : وددْنا قَبلَ ذلك . فانطلقوا بنا . فقال عثمان : إنه عمر فهلمّوا فَلْنَسْتَبْرِئ ما عنده من وراء ، نأتي حفصة فنسألها ونستكتمها . فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ولا تُسَمِّي له أحداً إلا أن يقبل وخرجوا من عندها .

فلقيَتْ عمر في ذلك فعرفَتْ في وجهه الغضب . وقال : مَنْ هؤلاء؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أَعْلَمَ رأيك .

فقال : لو علمتُ مَنْ هم لسَوَّدْتُ وجوههم . أنتِ بيني وبينهم ، أنشدك بالله : ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟

قالت : ثوبين مُمشَّقين ـ مصبوغين ـ كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجُمَع .

قال : فأيُّ الطعام نالَهُ عندك أرفع ؟

قالت : خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهي حارة أسفل عكّة لنا ، فجعلناها هشة دسمة ، فأكل منها وتطعَّم استطابةً لها .

قال : فأيُّ مبسط كان يبسطه عندك أوطأ؟

قالت : كساء لنا ثخين نربّعه في الصيف فنجعله تحتنا ، فإذا

كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثَّرنا نصفه.

قال: يا حفصة فأَبْلغيهم عني أنّ رسول الله ﷺ قدَّر فوضع الفضول مواضعها. وتبلَّغ بالتزجية - الاكتفاء - وإني قدَّرْتُ فوالله لأضعنَّ الفضول مواضعها ولأتبلَّغَنَّ بالتزجية[1].

وتحاول - رضي الله عنها - جاهدة في تقديم النصح لوالدها، لعلَّه يغيِّر من خطَّته وينهج بنفسه وأهله نهجاً يجعلهم يأكلون بعضاً من الطيبات الحلال ليكونوا أقوى على الحقّ. والله تعالى يقول: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧].

عن عكرمة بن خالد - رضي الله عنه - أنَّ حفصة وابن مطيع وعبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - كلَّموا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقالوا: لو أكلتَ طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق. فقال: قد علمتُ أنه ليس منكم إلا ناصح ولكني تركتُ صاحبيَّ على جادَّة، فإن تركتُ جادَّتهما لم أدركهما في المنزل[2].

ودخل عمر على حفصة ابنته - رضي الله عنهما - فقدَّمت إليه

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٢٧٧؛ البلاذري، ص٢٨٢.
(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٢٨١.

مَرَقاًبارداً وخبزاً، وصبَّت في المرق زيتاً. فقال: أدمان في إناء واحد، لا أذوقه حتى ألقى الله[1].

فهذه حفصة ـ رضي الله عنها ـ تجتهد في تقديم طعام متميز لأبيها فتدعمه ببعض الزيت ليكون طعمه طيباً شهياً، ولكن عمر ـ رضي الله عنه ـ بسياسته المعهودة وتقشُّفه المعروف يأبى ذلك عليها ويذكِّرها بما عزم عليه «أُدْمان في إناء واحد».

وسمعت ـ رضي الله عنها ـ أباها يقول: اللهم ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك ﷺ. قالت: فقلتُ وأنَّى ذلك؟ فقال: إن الله يأتي بأمره أنَّى شاء[2].

وكانت رضي الله عنها مُحِبَّة لأبيها قد أحزنها ما حلَّ به وأصابه عند وفاته، فبكته بكاءً مُرّاً. ولكنه خشي على نفسه أن تعذِّبه بعد وفاته فطلب منها ألا تفعل ذلك. جاء في البلاذري[3]: لما أصيب عمر قالت حفصة ـ رضي الله عنها ـ يا صاحب رسول الله ﷺ ويا أمير المؤمنين. فقال لها: إني أحرِّج عليكِ بما لي عليكِ من الحقّ أن

---

(١) حياة الصحابة: ١/ ٢٨٢.
(٢) المرجع السابق: ٢/ ٦١.
(٣) البلاذري في أنساب الأشراف، ص٣٧٥.

تندبيني بعد مجلسك . فأما عينيكِ فلن أملكهما .

وجاء في تاريخ المدينة[1] : أن المقدام بن معدي كرب دخل على عمر ـ رضي الله عنه ـ فلما خرج من عنده، دخلت عليه حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقالت : يا أمير المؤمنيناه ويا صاحب رسول الله ﷺ ويا خليفة رسول الله . فقال عمر : أقعدوني ولا صبر على ما أسمع . ثم قال : إني أعزم عليك بما لي عليك من الحق أن لا تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينيك فلن أملكهما إنه ليس مِنْ مَيِّت يندبه أهله إلا والملائكة تمقته .

ولما طُعِن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأُدخل البيت ، جاءت حفصة ـ رضي الله عنها ـ تقول : أبي أبي . أَخْرُج؟ فقالوا : الناس . فقالت : لتخرجنَّ عني أو لأخرجنَّ ، فقال عمر : أمكم تستأذن . فخرج الناس . فلما نظرت إليه ضَعفت بدنُه . فقال : يا بُنَيَّة إنما يُبْكى الكافر[2] .

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يركن إلى ابنته حفصة ـ رضي الله

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة لابن شبة: ٣/ ٩٠٦؛ الرياض النضرة: ٢/ ٤١٧؛ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢٣٠.
(٢) تاريخ المدينة المنوّرة: ٣/ ٩١٢.

عنها ـ في عظائم الأمور، وليس ثمة أمر أعظم من العناية بالصحف التي كتب عليها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كتاب الله، ومن المعروف تاريخياً أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان له جهد متميِّز في جمع سُوَر المصحف بين دفّتين، ويذكرون أنّ حذيفة قال لعثمان ـ رضي الله عنهما ـ: يا أمير المؤمنين إني قد سمعتُ الناس اختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، حتى إن الرجل ليقومُ فيقول: هذه قراءة فلان. قال: فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلي إلينا بالصحف فننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك. فأرسلتْ إليه بالصحف[1].

ولما توفيت حفصة ـ رضي الله عنها ـ أرسل مروان إلى ابن عمر بعزيمة لَيُرْسِلَنَّ بها، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها ابن عمر، فشققها ومزّقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلافٌ نَسَخَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ[2]

* * *

(١) الجوهرة: ٢/ ١٧٤.
(٢) تاريخ المدينة المنوّرة: ٣/ ١٠٠٤.



الفَصْل السَّابع

مشاركتها لأحداث عصرها

لم تذكر كتب السيرة والتراجم شيئاً عن مشاركة السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ لرسول الله ﷺ في غزواته ومعاركه، ولم تنسب إليها عملاً جهادياً كما نسبَتْهُ لبعض أمهات المؤمنين كالسيدة عائشة، والسيدة أم سلمة وغيرهما ـ رضي الله عنهن ـ أو لبعض الصحابيات كأم عمارة وأم سُليم بنت ملحان، وغيرهما ـ رضي الله عنهما ـ اللهم إلا ما جاء في كتاب حياة الصحابة[1]: أنه كان من عادة النبي ﷺ أنه يحمل بعض أزواجه معه في غزواته، وصادف أن خرج مرَّة ومعه عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ وتضايقت السيدة حفصة من ملازمة رسول الله ﷺ لهودج عائشة. حيث مضى يكلِّمها.

---

(١) حياة الصحابة: ٢/ ٦٧٩.

ولقد لزمت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بيتها بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم تخرج منه إلا لحاجة. ولمّا كانت هي والسيدة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ يداً واحدة ومن حزبٍ واحد سايرتها في الخروج إلى البصرة بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ لولا مَنْعُ أخيها عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لها. جاء في تاريخ الطبري[1]:

كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ مقيمة في مكة تريد عمرة المحرّم حين قُتِل عثمان ـ رضي الله عنه ـ بعد حصاره. وكان معها أزواج النبي ﷺ على قَصْدِ المدينة، فلما تحوَّل رأيُها إلى البصرة تَرَكْنَ ذلك. وانطلق القومُ بعدها إلى حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: رأيي تَبَع لرأي عائشة. وأرادت حفصةُ الخروجَ، فأتاها عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فطلبَ إليها أن تقْعُد، فقعدت وبعثت إلى عائشة: أنّ عبد الله حالَ بيني وبين الخروج. فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ يغفر الله لعبد الله.

وها هو عمر ـ رضي الله عنه ـ يخيِّرها وأمهات المؤمنين فيما حصَّلَه من خيبر، فتردّ عليه. جاء في المغازي[2]: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لمّا قَسَمَ عمر ـ رضي الله عنه ـ خيبر خيَّروا

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣١.
(٢) المغازي: ٢/٧١٩.

أزواج النبي ﷺ في طُعمِهنَّ الذي أطعمهنَّ رسول الله ﷺ في الكَتيبة، إن أحبَبْن أن يُقطع لهنَّ من الأرض والماء مكان طُعمهنّ، أو يُمْضى لهنّ الوُسوق[1]، وتكون لهنّ الوُسوق، وتكون مضمونة لهنّ. فكانت عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ مِمَّن اختار الأرض والماء. وكان سائرهنّ أخَذْنَ الوُسوقَ مضمونة.

ويذكر المؤرخون تأثرها الشديد بحادثة مقتل أبيها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقد ذكرنا خطبتها البليغة في فصل بلاغتها من هذا البحث.

ويذكر الفقهاء لحفصة ـ رضي الله عنها ـ اجتهادات فقهية ومشاركات في الحركة العلمية التي كانت تُعقَد في عصرها. وقد ذكرنا طرفاً من هذه الاجتهادات في فصل علمها.

* * *

(١) الوُسوق: مكيلة معلومة، وهي ستون صاعاً وحِمْل البعير.



الفَصْل الثامِن

وفاتها ـ رضي الله عنها ـ

اختلفت الروايات في تحديد وفاة السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ في المدينة المنورة.

فثمة رواية تحدّد وفاتها في شعبان سنة ٤٥ هـ في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ وهي يومئذٍ ابنة ستين سنة[١].

وثمة رواية تحدّد وفاتها في جمادى الأولى سنة ٤١ هـ[٢].

ويذكرون أنّ مروان بن الحكم قد صلّى عليها، وكان وقتذاك أمير المدينة. وحمل سريرها، وحمله معه أيضاً أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن موضع الجنائز، وجعل عليها نَعْشاً ومشى معها إلى

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/٨٦؛ السمط الثمين، ص٩٩.

(٢) أزواج النبي ﷺ، للصالحي، ص١٤٤.

البقيع، وجلس حتى فُرِغَ من دفنها. وحملها مروان بين عمودي السرير من دار بني حزم إلى دار المغيرة بن شعبة إلى قبرها. ونزل في قبر حفصة ـ رضي الله عنها ـ عبد الله وعاصم ابنا عمر وعبيد الله وسالم وحمزة بنو عبد الله بن عمر[1].

وقيل: ماتت سنة سبع وعشرين، حكاه أبو بشر الدولابي وهو غلط. وكأن قائله استند إلى ما رواه ابن وهب عن مالك أنه قال: ماتت حفصة عام فُتحت أفريقية. ومراده فتحها الثاني الذي كان على يد معاوية بن خديج، وهو سنة خمس وأربعين. وأما الأول الذي كان في عهد عثمان فهو الذي كان في سنة سبع وعشرين فلا[2].

وجاء في الطبقات[3]: توفيت على عهد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على الأرجح عام سبعة وثلاثين.

وقد وردت مناقبها ـ رضي الله عنها ـ في أحاديث دلَّت على عِظَم شأنها ورفعة مكانتها. منها:

---

(١) مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٤؛ السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٤؛ العبر: ١/ ٣٦؛ أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة، ص٥٨؛ عيون الأثر: ٢/ ٣٨٠.

(٢) السمط الثمين، ص٩٩؛ الإصابة: ٤/ ٢٧٣؛ أُسد الغابة: ٥/ ٤٣٦؛ تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٥٤؛ مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ٨/ ٨٦.

١ ـ روى ابن سعد[١] بإسناده إلى أبي الحويرث قال: تزوّج خُنيسُ بن حذافة بن قيس بن عدي حفصةَ بنت عمر فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة. في هذا منقبة لأم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها ـ وهي أنها كانت ممَّن حظِيَ بشرف الهجرة التي لا مثيل لها في الأجر والثواب.

٢ ـ روى البخاري[٢] بإسناده إلى سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يحدِّث أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين تأيَّمت حفصة بنت عمر من خُنيس بن حُذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليالي، ثم لقيني فقال: بدا لي ألا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصدّيق فقلت: إنْ شئتَ زوّجتُك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً وكنتُ أَوْجد عليه مني على عثمان. فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه. فلقيني أبو بكر، فقال: فلعلّك وجدتَ عليّ حين عرضتَ عليّ

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٨١.

(٢) فتح الباري: ٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

حفصةَ فلم أرجع إليك شيئاً. قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمتُ أنّ رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن أفشي سرّ رسول الله ﷺ. ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها. فالمنقبة الثانية أنها زوجة لرسول الله ﷺ

٣ ـ روى الطبراني بإسناده إلى قيس بن يزيد أنّ رسول الله ﷺ طلّق حفصة تطليقة... فجاء النبي ﷺ فدخل فتجلببت، فقال النبي ﷺ: «أتاني جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة». وفي هذا الحديث تنبيه على فضلها والثناء عليها بكثرة الصيام والقيام، والإخبار بأنها زوجته ﷺ في الجنة.

قال أبو عمر بن عبد البر[١]: طلّقها تطليقة واحدة ثم ارتجعها. وذلك أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ قال له: راجع حفصةَ فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله[٢]: ومن خواصّها ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره السيرة: أنّ النبي ﷺ طلقها

---

(١) الاستيعاب: ٤/ ٢٦١.

(٢) جلاء الأفهام، ص١٢٧.

فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: إنّ الله يأمرك أن تُراجعَ حفصةَ فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة.

وقال الذهبي رحمه الله[1]: وروي أنّ النبي ﷺ طلّق حفصةَ تطليقة ثم ارتجعها بأمر جبريل ـ عليه السلام ـ له بذلك. وقال: إنها صوّامة قوّامة وهي زوجتك في الجنة.

وكل ما تقدّم من ذكر مناقبها ـ رضي الله عنها ـ يدلّ على أنها كانت على جانب عظيم من رفعة مكانتها وجلالة قدرها. رضي الله عنها وأرضاها[2].



(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٨.
(٢) من عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام، ص٤٣٩ ـ ٤٤١.



ملحق بالأحاديث التي روتها حفصة
ـ رضي الله عنها ـ

١ ـ حدّثت حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان إذا أذّن المؤذّن وطلع الفجر صلّى رسول الله ﷺ ركعتين(١).

٢ ـ روت حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنّ النبي ﷺ لم يمُت حتى كان كثير من صلاته وهو جالس(٢).

٣ ـ روت حفصة عن النبي ﷺ: «مَنْ لم يبيِّت الصيام فلا صيام له»(٣).

٤ ـ روت حفصة أنّ رسول الله ﷺ في حجّته كان متمتّعاً وإنما منعه من الحلّ الهديُ الذي كان معه(٤).

---

(١) المغني: ٢/ ٥٣٩.
(٢) المرجع السابق: ٢/ ٥٦٨.
(٣) المرجع السابق: ٤/ ٣٣٤.
(٤) المرجع السابق: ٥/ ٨٦.

٥ ـ قالت حفصة ـ رضي الله عنها ـ لرسول الله ﷺ: ما شأن الناس حَلّوا ولم تَحْلِلْ أنت من عمرتك؟ فقال ﷺ: «إنّي لبَّدْتُ رأسي وقلَّدْتُ هديي فلا أُحِلُّ حتى أنحر»[١].

٦ ـ عن حفصة زوج النبي ﷺ أنّها قالت: رأيت رسول الله ﷺ في سبحته قاعداً ويقرأ بالسورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها[٢].

٧ ـ وعن ابن عمر عن أخته حفصة ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ كان إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح صلّى ركعتين خفيفتين قبل أن تُقام الصلاة[٣].

وروى صاحب مسانيد أمهات المؤمنين[٤] لحفصة ـ رضي الله عنها ـ الأحاديث التالية:

١ ـ كانت يمين رسول الله ﷺ لطعامه وشرابه وطهوره وثيابه

---

(١) المغني: ٥/ ٨٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٠٢؛ المسند: ٦/ ٢٨٣.
(٢) صحيح مسلم: ١/ ٥٠٧؛ الوفا بأحوال المصطفى: ٢/ ١٨٠؛ أسد الغابة: ٥/ ٤٢٦؛ مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٥.
(٣) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٤.
(٤) مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٠٥ ـ ١١٠.

وصلاته، وكانت شماله لما سوى ذلك.

٢ ـ إنّ رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قال: ربّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك.

٣ ـ عن نافع: أنّ حفصة دفعت مصحفاً إلى مولى لها يكتبه. وقالت: إذا بلغ هذه الآية ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فَأْذِنِّي. فلما بلغ جاءها. فكتبت بيدها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

٤ ـ عن حفصة بنت عمر قالت: كان رسول الله ﷺ عندي ذات يوم جالساً قد وضع ثوبه بين فخذيه. فجاء أبو بكر فاستأذن فأذن له وهو على هيئته. ثم جاء عمر، ثم علي، ثم أناس من أصحابه والنبي ﷺ على هيئته. ثم جاء عثمان فاستأذن، فأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فتجلّله ـ أي تستّر به ـ ثم أذِن له. فتحدثوا ثم خرجوا. فقلت: يا رسول الله جاء أبو بكر وعمر وعلي وسائر أصحابك وأنت على هيئتك، فلما جاء عثمان تجلّلتَ بثوبك. فقال: أفلا أستحيي ممَّن يستحي منه الملائكة.

٥ ـ لم أرَ رسول الله ﷺ يصلي قاعداً حتى كان قبل موته بعام أو اثنين، وكان يصلي في مسبحته جالساً، ويزيد السورة حتى تكون

قراءته أطول من أطول منها .

٦ ـ عن زبراء أنها كانت عند عبد فعتقت ، فقالت لها حفصة زوج النبي ﷺ : إنّ أمركِ بيدكِ حتى يمسّك زوجك ، فإذا أمسَّك فليس لك شيء .

٧ ـ عن صفية بنت أبي عبيد امرأة ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنّ حفصة زوج النبي ﷺ أرسلت بغلام لبعض موالي عمر إلى أختها فاطمة بنت عمر فأمرتها أن ترضعه عشر رضعات . فكان يلج عليها بعد أن كبر .

٨ ـ عن عبد الله بن عمر عن حفصة زوج النبي ﷺ أنها كانت قاعدة وعائشة مع رسول الله ﷺ . فقال ﷺ : «ودِدتُ أنّ بعض أصحابي معي نتحدث» . فقالت عائشة : أرسل إلى أبي بكر فيحدث معك . قال : «لا» قالت حفصة : أرسل إلى عمر فيحدث معك . قال : «لا ، ولكن أرسل إلى عثمان» ، فجاء عثمان فدخل . فقامتا فأرختا الستر . فقال رسول الله ﷺ لعثمان : «إنك مقتول مستشهد فاصبر صبَّرك الله ، ولا تخلص قميصاً قمّصك الله ثنتي عشرة سنة وستة أشهر حتى تلقى الله وهو عليك راضٍ» . قال عثمان : إن دعا النبي ﷺ لي بالصبر . وفي لفظ فقال عثمان : ادعُ الله لي بالصبر .

فقال: «اللهم صبِّره». فخرج عثمان، فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «صبَّرك الله فإنك سوف تستشهد وتموت وأنت صائم وتفطر معي».

٩ ـ عن عمرو بن دينار قال: أراد ابن عمر ألا يتزوّج فقالت له حفصة: يا أخي لا تفعل، تزوّج، فإن وُلِدَ لك ولدٌ كانوا لك أجراً، وإن عاشوا دَعوا الله لك.

وكثير من الأحاديث رُويت عن رسول الله ﷺ في بيت حفصة ـ رضي الله عنها ـ ومن ذلك:

١ ـ حدثت حفصة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ: «لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميّتٍ فوق ثلاثة أيامٍ إلا على زوجها»[١].

٢ ـ سمعت حفصةُ ـ رضي الله عنها ـ النبيَ ﷺ يقول: «لَيَؤُمَّنَّ ـ يقصد هذا البيت ـ جيشٌ يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسفُ بأوسطهم، وينادي أولهم آخرَهم، ثم يُخسف بهم فلا يبقى إلا الشريدُ الذي يُخْبِرُ عنهم»[٢].

---

(١) صحيح مسلم: ٢/١١٢٦؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٦/٢٨٦.
(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٢٠٩؛ مسند الإمام أحمد: ٦/٢٨٦.

٣ ـ قامَ رسول الله ﷺ عند باب حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقال بيده نحو المشرق: «الفتنةُ هـٰهنا من حيث يَطْلُع قرن الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثاً»[١].

٤ ـ قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ فخرجتا معه جميعاً، وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر. قالت: بلى. فركبت عائشةُ على بعير حفصةَ وركبت حفصةُ على بعير عائشةَ، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلّمَ ثم سار معها حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجليها بين الإذخر ـ نبات ـ وتقول: يا ربّ سلِّط عليَّ عقرباً أو حيّة تلدغني، رسولُك ولا أستطيع أن أقول شيئاً[٢].

٥ ـ روت حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ: كان إذا

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٢٩.
(٢) المرجع السابق: ٤/ ١٨٩٤.

سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح، وبدا الصبح ركع ركعتين خفيفتين قبل أن تُقام الصلاة[1].

٦ ـ بكت حفصةُ على عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال: مهلاً يا بُنَيَّة ألم تعلمي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الميّت ليُعذَّب ببكاء أهله عليه»[2].

٧ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم»[3].

٨ ـ روت حفصة عن النبي ﷺ: «خمسة من الدواب كلها فاسق لا حَرَج على مَنْ قتَلَهُنّ: العقرب والغراب والحدأة والفأرة والكلب العقور»[4].

٩ ـ عن ابن عمر عن حفصة ـ رضي الله عنهم ـ أنّ النبي ﷺ قَرَن مع حجّته عمرة[5].

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٥٠٠.
(٢) المرجع السابق: ٢/ ٦٣٨.
(٣) المرجع السابق: ٢/ ٧٧٩؛ مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٦.
(٤) صحيح مسلم: ٢/ ٨٥٨.
(٥) المغازي: ٣/ ١٠٩١.

١٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه رأى ابن صائد في سكة من سكك المدينة، فسبّه ابنُ عمر ووقع فيه، فانتفخ حتى سَدَّ الطريق، فضربه ابن عمر بعصا كانت معه حتى كسرها عليه. فقالت له حفصة ـ رضي الله عنها ـ ما شأنك وشأنه، مايولعك به أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إنّما يخرج الدّجالُ من غضبة يغضبها». قال عفان: عند غضبة يغضبها. وقال يونس في حديثه: ما توالعك به؟[1].

١١ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ أنّ النبي ﷺ كان إذا أذّن المؤذنُ صلّى ركعتين وحرّم الطعام، وكان لا يؤذن حتى يطلع الفجر[2].

١٢ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر لا يصلّي إلا ركعتين خفيفتين[3].

١٣ ـ عن ابن أبي مُليكة أنّ بعض أزواج النبي ﷺ ـ ولا أعلمها

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٣.
(٢) المرجع السابق: ٦/ ٢٨٤.
(٣) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٤.

إلا حفصة ـ سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: «إنكم لا تطيقونها، قالت: الحمد لله ربِّ العالمين». تعني الترتيل[1].

١٤ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لم يجمع الصيام مع الفجر فلا صيام له»[2].

١٥ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أربع لم يكن يدعَهُنَّ النبي ﷺ: صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة من كل شهر، والركعتين قبل الغداة[3].

١٦ ـ عن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه وضَعَ يده اليمنى تحت خدِّه وقال: «ربِّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاثاً»[4].

١٧ ـ قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ دخلتُ على حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: أعلمتَ أنّ أباكَ غير مُستخْلِف. قال: قلت: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل. قال: فحلفتُ أني أكلِّمه في ذلك. فسكتُّ

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٦.
(٢) المرجع السابق: ٦/ ٢٨٧.
(٣) المرجع السابق: ٦/ ٢٨٧.
(٤) المرجع السابق: ٦/ ٢٨٧.

حتى غدوتُ ولم أكلِّمه. قال: فكنت كأنما أحمل بيميني جبلاً حتى رجعتُ فدخلتُ عليه فسألني عن حالِ الناس وأنا أُخبره. قال: ثم قلتُ له: إني سمعتُ الناسَ يقولون مقالة فآليتُ أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلِفٍ، وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيتَ أنْ قد ضيَّع، فرعاية الناس أشدّ.

قال: فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إليَّ فقال: إن الله عز وجل يحفظ دينه وإني لئن لا أستخلِفْ فإن رسول الله ﷺ لم يستخلفْ، وإن أستخلف فإن أبا بكرٍ قد استخلف. قال: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمتُ أنه لم يكن ليعدِل برسول الله ﷺ أحداً وأنه غير مستخلف[1].

* * *

(١) رواه مسلم: ٣/ ١٤٥٥.

الخَـاتـمَة

وأخيراً: عشنا صفحات مضيئة مع أم المؤمنين السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ المهاجرة العابدة، التي ابتُليت بوفاة زوجها وهي في ريعان الشباب، فأبدلها الله نتيجة صبرها واحتسابها خيراً منه . . إنه رسول الله ﷺ. عاشت معه ردحاً من الزمن تَعُبُّ من معينه الصافي الخصب، وقد كانت مثالاً للزوجة الصالحة الوفية الورعة الزاهدة.

وعندما همّ رسول الله ﷺ بطلاقها لسبب من الأسباب، أمره جبريل ـ عليه السلام ـ بمراجعتها، فهي الصوّامة القوّامة، وهي زوجته في الجنة. وبعد وفاته ﷺ لزمت بيتها، وأصبحت دارها موئلاً لطلاب العلم والعلماء ليجدوا عندها حلاًّ لكثير ممَّا استشكل عليهم أمره.

لقد جاء بحثي في ثمانية فصول. تحدثتُ في الفصل الأول عن اسمها وولادتها ـ رضي الله عنها ـ فقد اشتهرت ـ رضي الله عنها ـ

باسمها حفصة بنت عمر . وبحثتُ في الدلالة اللغوية للاسم حفصة من خلال معاجم اللغة .

وأشرت في الفصل الثاني إلى أسرتها التي تضمنت أبويها وإخوتها وأختها وخالها عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنهم ـ .

وجاء الحديث في الفصل الثالث عن زواجها من خُنيس بن حُذافة ـ رضي الله عنه ـ وهجرتِها معه إلى المدينة المنورة ، ثم وفاة هذا الصحابي الجليل إثر إصابته بجراح بليغة في معارك الإسلام .

وفي الفصل الرابع كان الحديث عن زواجها من النبي ﷺ . وتضمّن صفحات عن حياتها معه ، وأنها كانت تستمع إلى كثير من الجلسات العلمية التي كانت تُعقَد في بيتها .

أما الفصل الخامس فجاء الحديث فيه عن صفاتها التي تضمّنت علمها وروايتها للحديث وتعلُّمها الكتابة ، وفصاحتها ورجاحة عقلها .

وخصصت الفصل السادس للحديث عن حوارها مع أبيها الخليفة الراشد عمر ـ رضي الله عنه ـ الذي كان يثق بها ، فكان يستشيرها ويعدُّها وصيَّتَه على أملاكه وأمواله .

وفي الفصل السابع تحدثت عن بعض مشاركتها لأحداث عصرها.

ثم أشرت في الفصل الثامن إلى سنة وفاتها ومَنْ قام بدفنها ـ رضي الله عنها ـ.

وذيَّلتُ بحثي هذا بملحقٍ لبعض الأحاديث التي روتها السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ أو رُوِيَتْ عنها.

ثم كانت الخاتمة، وذِكْر المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها.

* * *



المَـــرَاجع

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ـ بيروت، دار إحياء التراث، مصورة عن طبعة طهران ١٣٧٧هـ.

ـ أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

ـ الأعلام، للزركلي ـ بيروت، ١٩٨٤م.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، على حاشية كتاب الإصابة، مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ.

ـ الإصابة، لابن حجر، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة ـ مصر.

ـ أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي ـ بيروت، دار المعرفة.

ـ أزواج النبي ﷺ، تصنيف الإمام محمد بن يوسف الصالحي

الدمشقي المتوفى ٩٤٢هـ، تحقيق الأستاذ محمد نظام الدين الفتيح، دار ابن كثير.

- أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة، تحقيق د. أكرم العمري، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية.

- أنساب الأشراف، للبلاذري، تحقيق د. إحسان صدقي العهد، مؤسسة الشراع العربي-الكويت، ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.

- بذل المجهود في حل أبي داود، تأليف خليل أحمد السهارنفوري، طبع دار اللواء-الرياض.

- البداية والنهاية لابن كثير-بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ)، حققه الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- تاريخ الأمم والملوك للطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان-بيروت.

- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية-بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة دار التراث - مصر.

- تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة، حققه فهيم محمد شلتوت.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، طبع مصر، البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، ٣٨٨-٩٣٨.

- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، دار القلم، بيروت - لبنان.

- الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري، نقحها وعلّق عليها الدكتور محمد التونجي، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- حياة الصحابيات، تأليف خالد عبد الرحمن العك، دار الحكمة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م - دمشق.

- حياة الصحابة، للكاندهلوي، تحقيق الشيخ نايف العباس

والأستاذ محمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق.

ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، بيروت، دار الكتاب العربي.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق.

ـ الرحيق المختوم، للمباركفوري، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م ـ بيروت.

ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، الطبري، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرؤوف طه، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ سنن أبي داود، للإمام أبي داود، إعداد عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص ـ سوريا، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

- السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد - بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

- السيرة الحلبية، تأليف: الإمام العالم العلاَّمة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي (٩٧٥ - ١٠٤٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- سنن الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق كمال يوسف الحوت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- السنن الكبرى، للبيهقي، طبع دار المعرفة، بيروت - لبنان.

- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، تأليف: الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري. المتوفى سنة (٦٩٤هـ)، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي - حلب.

- شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي، تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط - بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- الشيخان أبو بكر وعمر مستلٌّ من تاريخ البلاذري - مصر.

- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.

- عيون الأثر، في فنون المغازي والشمايل والسير، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

- عون المعبود، دار الفكر - بيروت، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٩م.

- عبد الله بن عمر الصحابي المؤتَسي برسول الله ﷺ، محيي الدين مستو، دار القلم - دمشق.

- العبر في خبر مَنْ عَبَر، لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م). حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الباز للنشر والتوزيع - مكة.

- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، الدكتور ناصر بن علي حسن الشيخ، مكتبة الراشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،

تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، الشهير بالساعاتي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- فتح الباري، لابن حجر طبعة دار الفكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة.

- فتح القدير للشوكاني - بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب الستة، للذهبي، تحقيق محمد عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة - جدة.

- لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- من أعلام النساء سيرة ومنهاج، تأليف محمد علي قطب، مكتبة الإحسان.

- مسانيد أمهات المؤمنين، للسيوطي، الدار السلفية - الهند.

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ابن الجوزي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق إبراهيم القاروط.

ـ المغازي : للواقدي ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ـ بيروت .

ـ المغني، لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

المرأة المسلمة، وهبي سليمان الغاوجي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ـ بيروت .

ـ المعارف، لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، حققه وقدم له : الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف ـ مصر .

ـ معالم التنزيل، للإمام البغوي مطبوع مع تفسير الخازن ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرى .

ـ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بالحاكم .

ـ المصنف ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧هـ)، صححه وعلق عليه محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية بالرياض.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت.





الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

* * *

اقرأ للمؤلفة

في سلسلة أعلام المسلمين

١ ـ أم سَلَمَة

«العاقلة العالمة أم المؤمنين»

٢ ـ أم سُلَيم بنت مِلحان

«داعية وهبت حياتها للدعوة»

٣ ـ أم عمارة

«الصحابيّة المجاهدة»

٤ ـ زينب أم المؤمنين

«الصحابيّة العابدة، أم المساكين».